النفحات الربانيـة
في الاستغاثة بسيد البرية

تأليف

عبد الله محمد عكور

عفا الله عنه

رقم الإجازة المتسلسل لدى
دائرة المطبوعات والنشر

2002 /9 /2064

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

2002 /9 /2214

النفحات الربانيـة
في الاستغاثة بسيد البرية

اللهـم

إني أسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، واسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامة، أن تتغمدني بما تغمدت به من جأر إليك متنصلا، وعاد باستغفارك تائبا، وتتولني بما توليت به أهل طاعتك والزلفى لديك والمكانة منك، ولا تؤاخذني بتفريطي في جنبك وتعدي طوري في حدودك، ومجاوزة أحكامك وإساءة الأدب بين يديك

اللهم إني اسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، أن تفتح لي ابواب رحمتك، ورأفة تحننك وتعطفك، والأنس بقربك، ورزقك الواسع، فإني إليك من الراغبين، وعلى أعتابك من الواقفين، وأتمم لي إنعامك أنت خير المنعمين، واغفر لي ذنبي والمسلمين، وانصرني على نفسي والقوم الظالمين، بجاه من انتخبته من خلقك واصطفيته من بريتك، ووصلت طاعته بطاعتك، وموالاته بموالاتك

يا سيدي يا رسول الله إني أتوجه بك إلى الله في قبول دعائي هذا اللهم شفعه فيّ يا كريم.

إن خير ما حازه البيان، وجرى به القلم ونطق بـه اللسـان حمـد الله تعالى، أحمده أن أطلع في سماء الوجود شمس أنـوار النبـوة المحمديـة، وأشرق من أفق أسرار الرسالة مظاهر تجلي الرحمة الأحمديـة، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الفرد المنفرد في فردانيته بالعظمة والجلال، الواحـد الأحـد في وحدانيتـه باسـتحقاق الجـلال والجمـال والكمال، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشـرف الموجـودات، المؤيد ببدائع الآيات، المخصوص بعموم الرسالة وغرائب المعجـزات، اللهم باسـط الأرض ورافـع السـماوات، اجعـل شـرائف صـلواتك ونـوامي بركاتـك، وأشـرف تسـليماتك ورأفـة تحننـك علـى الـذات المحمدية واللطيفة النورانية، الذي فتحت بـه مـا أغلـق مـن غـوامض العلوم، وختمت برسالته ما سبق من شرائع الأنبياء والمرسلين.

اللهم صل وسلم وبارك عليه، وآتـه الوسـيلة والفضـيلة والدرجـة الرفيعة، وابعثه مقاما محمودا يغبطه عليه الأولون والآخـرون، اللـهم افسح له في مستقر فراديس جنانـك، وامنحـه مضـاعفات الخـير مـن فضلك، مهنئات غير مكدرات، تترى غير مقطوعات، واشمل اللـهم

بفضلك ورحمتك أصحابه ليوث الوغى وأسد الشرى، وآل بيته نجوم الهدى ومنارات الاقتدا.

وبعد: فهذه نفحات ربانية ومنن وهبية، تنبئ عن نبذة يسيرة من كمال وشرف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتحقيق القول بإغاثته لمن استغاث به من الخلق، أوردتها حججاً دامعة للمعاند، وذكرى نافعة للمحب إن شاء الله تعالى .

ولست أول من صنف في هذا الموضوع، ولست أول من تحدث به، فقد سبقني بالكتابة كثير من العلماء جمعوا أخبار من استغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم منهم:

- الإمام الحافظ أبو بكر ابن أبي الدنيا "الفرج بعد الشدة" وكتابا آخر سماه "مجابي الدعاء" .
- الإمام أبو القاسم التنوخي "الفرج بعد الشدة" .
- الإمام أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث القرطبي "المستصرخين بالله عند نزول البلاء" .
- الإمام أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال "المستغيثين بالله" .
- أبو عبد الله محمد بن موسى المراكشي "مصباح الظلام في المستغيثيت بخير الأنام في اليقظة والمنام" .
- يوسف بن إسماعيل النبهاني "شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق" .

لكن هذا الكتاب يختلف عما سلف من المصنفات بأني لم أعتمد فيه المرائي المنامية إلا نادرا، بل أتيت بالأدلة على صحة الاستغاثة

بالنبي صلى الله عليه وسلم من الذكر الحكيم وما صح في السنة النبوية وأقوال العلماء وأفعالهم من عهد الصحابة إلى هذه الأيام، ثم ناقشت آراء المانعين للاستغاثة ورددتها، فجاء الكتاب بحمد الله مرجعاً قوياً في هذا الموضوع يرجع إليه طلبة العلم.

وقد قسمته الى مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة .

فالمقدمة تحتوي على مواضيع تمهيدية متعددة .

الباب الأول: شبهات المانعين ومناقشتها .

الباب الثاني: الاستغاثة في كتاب الله تعالى .

الباب الثالث:الاستغاثة في السنة المطهرة .

الباب الرابع: الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم في البرزخ

الباب الخامس: الاستغاثة عند العلماء .

الباب السادس: مناقشات وردود .

وقد سميته: النفحات الربانية في الاستغاثة بسيد البرية.

أسأل الله تعالى أن ينفع به النفع العميم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تصديـــر

لاقت مسألة الاستغاثة هـذه الأيـام أخـذاً وردّا بـين طلبـة العلـم، فمـنهم مـن تلقاهـا بـالقبول، ومـنهم مـن نعتهـا بالشـرك والوثنيـة، والمانعون لها ربما غلب عليهم تيار التعصب فلـم يقبلـوا بالأدلـة الـتي أوردها الطرف الآخر، مع أن بعضـها قطعـي الدلالـة والثبـوت، ولا مجال للطعن فيها.

ومما يدل على تعصبهم لمـذهبهم أنهـم نعتـوا مـن اسـتغاث بـالنبي صلى الله عليه وسلم بالشرك والوثنية، وقـولهم: مـن قـال: يـا محمـد اشفع لي عند ربك فقد أشرك [1] وممن وسموهم بالشرك من العلمـاء الشيخ العلامة محمد بن علوي المالكي المدرس بالحرم المكي رحمه الله وخاصة عندما ألف كتابه الذخائر المحمدية، وقد انتصـر لـه كـثير مـن علماء المسلمين وبينـوا أن مـا كتبـه الشـيخ العلـوي مؤيـد بنصـوص الكتـاب وصـحيح السـنة، لكـن الطـرف الآخـر لم يقبـل بكـل هـذه النصوص، ولما اشتدت ردودهم علـى المـانعين خفـت حـدة لهجـتهم فقالوا: هي بدعة ضلالة، وكان مما أورده المجيزون للاسـتغاثة حـديث الضرير الذي سأورده لاحقاً إن شـاء الله فقـالوا أولا: إن الضـرير لم يتوسل بالنبي وإنما توسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسـلم ولا شـك أن دعاء النبي مقبول، فلا دلالة في هـذا الحـديث علـى الاسـتغاثة أو

[1] سمعنا هذا في الدرس اليومي بعد صلاة المغرب من الشيخ أبي بكر الجزائري المدرس في الحرم النبوي الشريف.

التوسل، ولما بين الطرف الثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع للأعمى وإنما أمره بالدعاء قالوا: نعم ما تقولونه صحيح، لكن هذا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لا بعد وفاته، فكان الرد عليهم أنه لا فرق في ذلك بين حياة المستغاث به أو موته لأن المغيث حقيقة هو الله تعالى، وأن النبي لم تنقطع نبوته بموته، فكان آخر ما قالوا: نعم إن ما تقولونه صحيح لكن هذا الأمر خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم فقط لا غيره من الأولياء[2] وسأبين خطأ هذا الكلام في ثنايا هذا الكتاب إن شاء الله وسننتظر ردهم فلعلهم في هذه المرة يجيزون الاستغاثة.

لقد جاء ذكر المدد في كتاب الله تعالى، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وأثبتت الأدلة العقلية والنقلية أن لبعض المخلوقات تصرفاً في غيرها، فبات الأمر جائز عقلاً ومنطقاً، ولو تلمسنا الأشياء من حولنا لرأينا المدد يسري من مخلوق لآخر حساً ومعنى، وليس مقصوراً على البشر وحدهم، فالتأثير جار نفعاً وضرا خيرا وشرا، فالله تعالى إذا أراد أن ينفع عبدا من عباده جعل لذلك سببا، حيث اقتضت حكمته تعالى في هذه الدار أن يرتب النتيجة على السبب .

قال الدميري في حياة الحيوان عند كلامه على السلحفاة أنها (أي السلحفاة) تربي أولادها بالنظر، فهي لا أثداء لها لأنها محاطة بغلاف صلب، فإذا أرادت وضع البيض دفنته في التراب، فإذا فقست البيوض وخرجت منها صغار السلاحف وأصبحت بحاجة للغذاء

[2] هذا القول سمعناه من بعض علمائهم في محطة الرسالة الفضائية أخيرا وبالتحديد في نهاية ذي الحجة من عام 1428هـ وعندما كنت بصدد إعادة طبع هذا الكتاب.

يأتي دور الأم، فتقف أمامهم فيسري مدد الطعام للصغار فيشبعوا، وهكذا يبقى الحال حتى تكبر السلاحف وتستقل بنفسها.

وذكر أيضاً عند كلامه على الحية أن بعض الأفاعي تسمم بالنظر، فإذا أرادت هذه الأفاعي قصد شيء بالضر نظرت إليه فيسري مدد السم والإيذاء لهذا المخلوق فيتضرر لحينه، ومثل ذلك عند البشر، فكلنا يعرف العين وهي غنية عن الشرح، ولو تفكرنا فيما حولنا لرأينا الكثير.

لذا فالمدد موجود عقلا ونقلا، ففي الشرع ما سنورده من أدلة إن شاء الله وفي العقل كما رأينا من هذه الأمثلة، وكل ذلك أسباب ووسائط لمدد الله تعالى، فالله رازق عباده، والرزق لا ينزل من السماء ذهبا أو فضة في يد العبد، ولكن جعل أسبابا للرزق، فمن سلك سبباً من هذه الأسباب ووافق السبب قدراً حصل الرزق وإلا فلا، والنصر من عند الله تعالى، لكن الله أمرنا بالإعداد أخذاً بالسبب فقال: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ثم نفى أن يكون النصر بكثرة العدد والعدة فقال: وما النصر إلا من عند الله، وكل هذه الأسباب هي أمور تعبدنا الله بها، والفاعل حقيقة هو الله وحده، فقد يرزق بسبب وبغير سبب، وقد ينصر بسبب وبغير سبب، وذلك تعليم لنا أن لا نتكل على السبب بل نأخذ به ونتوكل على خالقه وهو الله تعالى.

ما هية المدد

المدد في اللغة: هو الزيادة في كل شيء، يقال: مد النهار إذا زاد ارتفاع الشمس، ومددت الدواة زدت ماءها، ومدت القومَ صارَ لهم مَدَداً بزيادة الجند، ومددت السراج زدت في زيته، وسُبْحانَ اللهِ مِدَادَ السَّماواتِ، أي عَدَدها وكَثْرَتَها. والإِمْدادُ تأخيرُ الأَجَلِ أي زيادته، وأَن تَنْصُرَ الأَجْنادَ بِجَماعَةٍ غيرَكَ، والإِعْطاءُ، والإِغاثَةُ، وفي الخيرِ أَمْدَدْتُهُ قال تعالى (وأمددناكم بأموال وبنين) أي زدناكم وقوله تعالى: (والبحر يَمُدُّه من بعده سبعة أبحر) أي يكون مدادا كالمداد الذي يكتب به، والشيء إذا مد الشيء فكان زيادةً فيه فهو يَمُدُّه، يقول: دِجلة تُمُدُّ بئارنا وأنهارنا، والله يَمدُّنا بها، وتقول: قد أمددتك بألف.

وقال الليث: المدد ما أمددت به قومك في حرب أو غير ذلك من طعام أو أعوان، ويقال: دَعْ في الضَّرع مادَّة اللبن، فالمتروك في الضرع هو الداعية، وما اجتمع إليه فهو المادة، والأعراب مادة الإسلام، والمداد ما يكتب به[لح].

وأما المدد في الاصطلاح: فهو ما يحتاجه الإنسان في دنياه وآخرته من جلب خير أو دفع ضر، وطلب المدد يسمى استغاثة، وإذا جعل العبد بينه وبين المستغاث به واسطة يسمى توسلا، وحصول النتيجة هي المدد.

---

[3] المحيط في اللغة – (2 / 340) جمهرة اللغة – (1 / 35) الصحاح في اللغة (2 / 162) لسان العرب – (3 / 396) مادة مدد .

فالتوسل والاستغاثة والتشفع بنفس المعنى، فالمتوسل هو الداعي لكنه جعل بينه وبين المدعو واسطة قد تكون أبلغ في الإجابة، ومستغاث به لأنه استغاث الله به على ما يقصده، ومتشفع به لأنه سأل الله بجاهه، وإجابة الطلب هو المدد.

المدد بين الحقيقة والمجاز

إن ما أبغيه من إيرادي لهذه الفصول مع أنها ليست من صلب الموضوع لأقول بأن اللغة العربية تتسع لنعت المخلوقين ببعض صفات الرب تعالى، وأن ما يقع من بعض الناس من الاستغاثة والتوسل والتشفع إنما هو من باب المجاز، وإن وقعت الإجابة على يد المستغاث به إنما هو إكرام من الله تعالى لهذا العبد الذي أجاب دعوته، فإذا وردت عبارات في بعض الكتب التي تبحث في هذا الموضوع أو على ألسنة البعض فلا نسارع بالحكم عليه بالبدعة الضلالة أو نعته بالشرك والوثنية، بل نحمل ما أتى من هذا القبيل محمل اللغة، وأن اللغة تتسع لهذا وأكثر.

فإذا عرفت هذا أقول: إن من مزايا اللغة العربية اشتمالها على صنوف البلاغة من بيان وبديع وغيرهما من المحسنات اللفظية، ومن هذه المحسنات المجاز بأنواعه، وهو استعمال اللفظ لغير ما يدل عليه ظاهره كقولنا: "أكله الأسد" فيذهب الذهن إلى الأكل المعروف، وأما إذا قلنا: "أكله الأسود" فإنما نعني به النهش واللدغ والعض، ومن ذلك قوله تعالى: (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) فالأكل هنا لا

يدل على المعنى الذي يبدو ظاهرا من اللفظ وإنما نحمله على معنى آخر، وهو ما تسميه العرب "بالمجاز" وهو ما يقابل الحقيقة.

والمتتبع لغة العرب يراهم قد أولعوا بالمجاز وعدوه من مفاخر كلامهم لأنه دليل الفصاحة، ورأس البلاغة التي امتازت به لغتهم عن سائر اللغات، وقد قسم علماء اللغة المجاز إلى قسمين؛ عقلي ولغوي، فالمجاز العقلي يكون في الإسناد، أي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له، وقد عرّفه علماء اللغة بأنه؛ الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه، لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بواسطة وضع كقولك: "أنبت الربيع البقل، وشفى الطبيب المريض، وكسا الخليفة الكعبة، وبنى الوزير القصر لخ" .

وحتى تتضح لنا الصورة لا بد من ضرب بعض الأمثلة:

يقال: بنى خوفو الهرم، فالفعل "بنى" أسند إلى غير فاعله، فإن خوفو لم يبن الهرم وإنما بناه عماله، ولما كان خوفو هو الآمر بالبناء أسند الفعل إليه، ففي الإسناد هنا مجاز وعلاقته السببية.

قال زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فالفعل "ستبدي" أسند إلى الأيام أي إلى غير فاعله الحقيقي، فإن الفاعل الحقيقي هو "حوادث الأيام" والذي سوغ هذا الإسناد أن المسند

---

4 مفتاح العلوم للسكاكي ص (208) .

إليه "الأيام" هو زمان الفعل، فإسناد الإبداء إلى الأيام مجاز عقلي وعلاقته الزمانية.

قال تعالى: (**أو لم نمكن لهم حرما آمنا؟**) فالحرم لا يكون آمنا، لأن الإحساس بالأمن صفة من صفات الأحياء، وإنما الحرم مأمون بمعنى يؤمن، ولهذا أسند الوصف المبني للفاعل "آمن" إلى ضمير المفعول، وهذا مجاز عقلي وعلاقته المفعولية.

قوله تعالى: (إنه كان وعدُه مأتيا) فكلمة "مأتيا" جاءت بدل كلمة "آت" فاستعمل هنا اسم المفعول مكان اسم الفاعل، أو تقول: أسند الوصف المبني للمفعول إلى الفاعل، وهذا مجاز عقلي وعلاقته الفاعلية.

* قال الشاعر مادحاً أحد الأمراء:

تكاد عطاياه يُجنُّ جنونها إذا لم يعوذها برقية طالب

فالمجاز العقلي هو إسناد الفعل إلى مصدره وليس إلى فاعله، وذلك قوله "يُجنّ جنونها" وإسناد الفعل إلى مصدره مجاز عقلي وعلاقته المصدرية.

فمن معالجة هذه الأمثلة نرى أن أفعالا أو ما يشابهها لم تسند إلى فاعلها الحقيقي، بل أسندت إلى الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره، وأن صفات كان من حقها أن تسند إلى الفاعل أسندت إلى المفعول، وأخرى ينبغي أن تسند إلى المفعول أسندت الفاعل.

وكذا نقول: أن من استغاث بنبي أو ولي إنما طلب في الحقيقة من الله تعالى لأن هذا العبد قريب من ربه، عزيز عليه يغار الله على وليه أو نبيه أن يلتجأ أحد إلى جنابه ثم يرجع صفر اليدين، فيقضي الله

حاجته، فقد ورد في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم بما رواه الحاكم: (يسألوني و يأبى الله لي البخل [5]) ومناسبة الحديث وردت في العطاء الحسي، لكن قرر العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فيصدق بالعطاء الحسي والمعنوي فتحصل من هذا شيئان:

الأول: أن من قصده صلى الله عليه وسلم بطلب أعطاه الله، لأن الله يأبى البخل لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا يرضى له إلا السخاء.

الثاني: أن إجابة الطلب كانت من الله تعالى، وحصولها على يد النبي إنما هو مجاز .

المجاز في القرآن الكريم

بعد هذا نجد أن القرآن الكريم الذي أعجز العرب البلغاء ببلاغته قد استعمل المجاز كثيرا، وأسند إلى العبد أفعالا لا تكون في الحقيقة إلا لله تعالى، وإسنادها إلى العبد مجاز، فمن ذلك قوله تعالى: (فارزقوهم) فالرازق حقيقة هو الله، ولكن أسند الرزق إلى العبد مجازا لأنه محل الفعل، وقوله تعالى (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) فقد أسند النصر إلى العبد هنا مجازا وحقيقة النصر من عند الله تعالى (وما النصر إلا من عند الله) وقوله تعالى (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) فإحياء النفس لله وحده، وإسناد

[5] المستدرك (64/1) وغيره بسند جيد.

الفعل إلى غير فاعله الحقيقي هو مجاز، فالعبد هنا رزق ونصر وأحيا النفس البشرية، وكل ذلك من خصائص الربوبية ولكنها أسندت إلى العبد مجازا، وهكذا يجد المتتبع لآيات القرآن آيات كثيرة أسندت الفعل إلى غير فاعله الحقيقي.

المجاز في السنة النبوية

ومثل ذلك ورد في السنة النبوية المطهرة، فقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم رثى سيد الشهداء بكلمات رقيقة مؤثرة، ووصفه بصفات هي من صفات الربوبية فقد أورد الحافظ القسطلاني عن عبد الله بن مسعود قال: ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكياً قط أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب، وضعه في القبلة ثم وقف وانتحب حتى نشغ[6] من البكاء يقول: يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسوله، يا حمزة فاعل الخيرات، **يا حمزة كاشف الكربات**....[7] فكاشف الكرب هو الله تعالى لكن النبي صلى الله عليه وسلم أسنده إلى سيدنا حمزة مجازا.

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة[8] فتفريج الكرب هي من خصائص الربوبية وإنما أسند الفعل إلى العبد مجازا ؟

---

6 نشغ: شهق حتى كاد يغشى عليه من شدة البكاء والحزن.

7 المواهب اللدنية (212/1) .

8 صحيح مسلم - (13 / 212) .

وهذا سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه يمدح النبي صلى الله عليه وسلم بأبيات من الشعر منها:

يا ركن معتصم وعصمة لائذ

وملاذ منتجع وجار مجاور

فالنبي صلى الله عليه وسلم هو عصمة لمن اعتصم به، وملاذ لمن استجار به، وفي الحقيقة إنما تكون الاستجارة بالله والاعتصام به تعالى، وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر من حسان بن ثابت وأقره عليه، فهل ننكر بعد ذلك على من وصف النبي صلى الله عليه وسلم ببعض صفات الربوبية؟؟!

المدد بين الكرامة والإعجاز

كما أشرت في الفصل السابق أقول: إن ما أبغيه هنا من إيراد هذا الفصل مع أنه ليس من صلب الموضوع إنما هو القول بأن ظهور الإغاثة على يد عبد من عباد الله تعالى غالباً ما يكون تكرمة من الله لهذا العبد، وقد يكون على سبيل المعجزة إن كان نبيا أو كرامة إن كان وليا، حتى يظهر الله فضل هذا العبد فيقع من الناس موقع الاحترام والتقدير، فإذا كان هذا أقول: إن المدد حقيقة هو من الله تعالى خلقاً وإيجادا، وهو من العبد على سبيل الكسب والسبب، وطلب الغوث من أحد من عباد الله إنما هو في الحقيقة من الله لأن المعطي والمانع هو الله، والعبد هو باب من أبواب الله، وقد أمرنا الله

تعالى أن نأتي البيوت من أبوابها، وإذا ظهر المدد على يد عبد فإنما يكون إعجازاً للبشر إن كان المستغاث به نبيا، أو كرامة إن كان المستغاث به وليا.

ولا بد والحالة هذه أن نتعرف على خوارق العادات التي تقع على يد بعض الناس، فقد جرت العادة أن تظهر النتيجة مقارنة للسبب، كمن يأكل فيشبع، أو يشرب فيروى، أو يمر السكين فيقع الذبح، أو يوقد نارا فيقع الاشتعال، أو يركب العبد سيارة ليصل إلى مكة، فهذه نتائج ترتبت على أسباب، فالشبع متوقف على الأكل، والري متوقف على الشرب، والإحراق متوقف على النار، وهكذا لكن إذا حصل الشبع بدون أكل يسمى هذا الأمر خرق عادة، وإذا حصل الري بدون شرب يسمى أيضا خرق عادة، ومن وصل مكة في لحظة بدون واسطة يسمى هذا الأمر خرق عادة، فهذه الخوارق تقع على يد البشر، وقد قسمها العلماء إلى سبعة أقسام:

الأول: المعجزة؛ وهي الأمر الخارق للعادة يظهره الله تعالى على يد النبي وهي مقرونة بالتحدي بحيث يعجز المنكرون عن الإتيان بمثلها[9] فحقيقة الإعجاز إتيان العجز .

الثاني: الإرهاص وهو أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى مقدمة لمبعث نبي، وفرق بينها وبين المعجزة أنها غير مقرونة بالتحدي [6] كتظليله ﷺ الغمام .

---

[9] انظر أعلام النبوة - (1 / 21) .

6 شرح أم البراهين ص54 .

الثالث: الكرامة وهي الأمر الخارق للعادة يظهره الله على يد الرجل المشهور بالتقوى والصلاح من غير اقتران بالتحدي، ومن غير دعوى النبوة ولا مقدمة لها قالوا: ومن شرط الكرامة كتمانها [11].

الرابع: الإعانة أو المعونة؛ وتظهر على يد عوام المؤمنين الذين لم يبلغوا درجة الولاية تخليصاً لهم من محنة أو هلكة.

الخامس: الاستدراج وهي ما يقع لبعض الكفرة والفسقة مطابقا لمرادهم، حتى يمعن في الكفر والضلال وقد يموت على ذلك حتى يخلد في النار.

السادس: الإهانة وهي ما يقع للكفرة والفساق غير مطابق لمرادهم إهانة من الله لهم كما وقع لمسيلمة الكذاب حين تفل في البئر ليزداد ماؤها حلاوة فأصبح ملحا أجاجا.

السابع: المحنة وهو ما يحصل على يد من يريد إضلال الخلق كالدجال [12].

وفرق بين هذه الخوارق والسحر أن هذه الأمور ليس لها سبب وإنما تقع من الله تعالى على أصناف من الناس كما مر، أما السحر والشعبذة فلها أسباب يعملها الساحر بالتعاون مع الشياطين.

لذا فإن ما يقع من إجابة طلب المستغيث بعبد من عباد الله يكون معجزة إن كانت على يد نبي، وكرامة إن كانت على يد ولي، إظهارا لكرامة هذا العبد على ربه، فقد جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: قَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم: إِنَّ اللهَ قَال: (مَنْ عَادَى لِي

---

[11] الاقتصاد في الاعتقاد (63/1) .

[12] انظر أم البراهين ص 56 .

وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ التِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ التِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّه[13]) فهذا الحديث الشريف بين لنا أن العبد أدى ما كتب الله عليه من الفرائض، ثم تقرب إليه تعالى بالنوافل حتى أحبه الله، فلما حصلت المحبة كان الله له سمعا وبصرا ويدا ورجلا، فإذا طلب من الله أعطاه، وإن استعاذ من شيء أعاذه الله، وإن شفع في شيء شفع، وإن سأل شيئا قيل له سل تعطه، فالمدد من هذا القبيل، فإذا استغاث العبد بهذا الولي يدعو الولي ربه في إجابة دعاء هذا المستغيث يقول: يا رب إن عبدك فلان قصدني بحاجة وأنت أعلم بها مني، فأقسم عليك يا رب إلا ما أجبت سؤاله، وأعطيته حاجته؛ فيقع إجابة الطلب من الله على الفور، وقد يؤخر الله تعالى الطلب حسب المشيئة الإلهية، وحسب مصلحة العبد، وقد يُلهمه الله تعالى أن يتصرف بما تقتضيه المصلحة والتي سبقت له في علم الله فربما كان العبد مريضا مثلا ويطلب من هذا العبد الكريم على ربه فيتصرف العبد (نبيا كان أو وليا) بمسح يده على مكان المرض فيكتب الله الشفاء على الفور، فالشفاء حصل من الله تعالى، ولم يقع من العبد إلا مسحة اليد على مكان المرض، فقارنت مسحة اليد إرادة الله له بالشفاء، فالذي قضى الحاجة في الحقيقة هو الله تعالى،

---

[13] صحيح البخاري - (20 / 158) .

وإنما العبد سبب في ذلك، وقد رتب الله النتيجة على السبب، فهذا هو مفهومنا من طلب المدد والاستغاثة.

إنما أنا قاسم والله يعطي

روى البخاري بسنده إلى آدم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أنا قاسم والله يعطي[14] .

جاء الحديث بعدة روايات منها في التسمية وهي في كتاب الأدب عند البخاري، ومنها في العلم وذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ومنها ما جاء في قسمة أموال الفيء، فتعدد المناسبات يفيد أن القسمة لم تختص بشيء دون شيء، فقسمة العلم مثلا لها شاهد في البخاري عن أبي هريرة وسأذكره بعد قليل تحت عنوان (أبو هريرة يشكو النسيان) والأخلاق له شاهد بأحاديث أخر سأذكره أيضا تحت عنوان (تبديل الأخلاق).

والشاهد في الحديث أن العطاء من الله تعالى، وإنما يأخذ كل واحد قسمته حسب المشيئة الإلهية من طريق النبي صلى الله عليه وسلم، فهو أمين خزائن الله يتصرف بقسمتها على عباده تعالى حسبما يأمره الله تعالى، سواء كانت هذه العطايا حسية كالفيء والغنائم والزكوات أو معنوية كزيادة النور والإيمان أو الشفاعة أو الاستغفار وغير ذلك مما لا يحصى.

وحكمة ذلك أن المدد الإلهي عندما يتنزل على عباده لا يقوم له شيء لقوته، فهو لا ينزل لعبد واحد وإنما ينزل للخلق دفعة واحدة،

---

[14] رواه البخاري في الصحيح (126/1) و مسلم 241/5) .

وهو كما قال تعالى (**كلاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا**) **سورة الإسراء آية (20)** . فكان سياق الآية الكريمة بعد قوله تعالى (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لمنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لهُ جَهَنَّمَ يَصلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) فجاء السياق القرآني في التحدث عن عطاء القسمين وهما: قبضة أهل اليمين وهم السعداء، وقبضة أهل الشمال وهو الأشقياء، وعطاء الله لهم يكون حسيا ومعنويا، فهذا العطاء لا يختص به أحد دون أحد، بل يتنزل المدد الإلهي لهم جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعة واحدة، ومن عنده عليه الصلاة والسلام تكون القسمة، وذلك لأن الله تعالى قد أمد رسوله بقوة بحيث يتحمل صولة تنزل هذا المدد عن عباده، ولا يجيء العبد منه إلا ما يتحمله، وانظر قوله تعالى (لوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لعَلهُمْ يَتَفَكَّرُون) **الحشر آية (21)** وقوله تعالى (فَلما تَجَلى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) **سورة الأعراف آية (173)** فهذا المدد الذي يتنزل على عباد الله لا تقوم له الجبال الرواسي، فلا بد من واسطة في تخفيف سطوة هذا المدد ليستطيع كل واحد أخذ قسمته، فكانت الواسطة في ذلك هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولنضرب مثالا على ذلك في الحس فأقول: هذه الكهرباء التي تصل إلينا بواسطة المولدات الكهربائية عندما تخرج من المولدات تكون عالية الجهد والفولتية، بحيث تكون قوتها تفوق مئة ألف فولت، فلو

وصلنا هـذا التيـار القـوي بمصـباح صـغير مـن هـذه المصـابيح الـتي نستعملها في بيوتنـا، أو بجهـاز كهربـائي كالثلاجـة أو الغسـالة مـا ذا سيحدث لهـا؟؟ بـالطبع إنهـا سـتحترق فـور وصـول التيـار، وتبقـى أجساما لا روح فيها، لكن لمـا أراد الإنسـان الانتفـاع بهـا جعـل لهـا منظمات تخفف حدة هذا التيار حتى استطعنا أن نسـتعملها في حياتنـا اليومية، وهذه من رحمة الله تعالى بنا أن جعـل الـنبي صـلى الله عليـه وسلم واسطة في ذلك، لـذلك قـال الله تعـالى مخاطبـا رسـوله: (وَمَـا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالمين) **سورة الأنبياء (107)** .

الباب الأول
شبهات المانعين للاستغاثة

الشبهة الأولى : قولهم أن المستغيث بعبد إنما هو عابد له .

الشبهة الثانية : إذا سألت فاسأل الله .

الشبهة الثالثة : الاستغاثة مسألة عقدية .

الشبهة الرابعة : الاستغاثة تكون بالأحياء دون الأموات .

الشبهة الخامسة : قطع عمر لشجرة الرضوان .

شبهات المانعين للاستغاثة

يتمسك المانعون للاستغاثة بأدلة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ففسروها على وجه غير الوجه التي تدل عليه والمتفق عليه عند جمهور العلماء، وأستطيع إجمال هذه الشبهات بخمس:

الأولى: قولهم: أن من استغاث بأحد من المخلوقين إنما هو في الحقيقة عابد له، والمتشفع بالنبي أو الولي جعله شريكا مع الله، وهذا هو الشرك الأكبر الذي أراده الله تعالى بقوله: (أَلا لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلى اللهِ زُلْفَى) وما في معنى هذه الآيات.

الثانية: احتجاجهم بالحديث الشريف: (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله) .

الثالثة: إن الاستغاثة هي مسألة عقدية ومسائل العقيدة لا يؤخذ بأدلتها إلا من الكتاب وصحيح السنة.

الرابعة: إن ثبتت مشروعية الاستغاثة والتوسل فلا يكون إلا بالأحياء فقط لأن الأموات انقطع عملهم ونفعهم.

الخامسة: لو لم يكن التوسل والاستعانة بغير الله شركا لم يقطع عمر رضي الله عنه شجرة الرضوان.

رد الشبهة الأولى:

ليس إلى ما ذهبوا إليه دليل يعتمد عليه من أن الاستغاثة بمخلوق إنما هي عبادة له، ولا كل من طلب عونا من آخر اتخذه ربا، لأن الطلب قد يكون من الله وقد يكون من غير الله، وليس كل طلب دعاء ولا كل دعاء عبادة، لأن معنى العبادة يتحدد من النص، فقول ربنا جل شأنه (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) ليس معناه: لا تجعلوا عبادة الرسول كعبادة بعضكم بعضا، فالدعاء هنا هو النداء لا العبادة، إذ أن الفيصل بين العادة والعبادة إنما هي النية، فإذا توجه بالدعاء إلى الله على وجه القربة له يسمى عبادة، وإذا توجه بالدعاء إلى الخلق بنية الطلب يكون استغاثة، فانظر الفرق بين القضيتين، وأما الاستشهاد بهذه الآيات فباطل لأن القرآن مكث يتنزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة مدة ثلاثة عشر عاما، وكانت السور في هذه الفترة مقررة ثلاثة أمور:

- ترسيخ عقيدة التوحيد في قلوب الناس، وضرب الأمثلة والبراهين والحجج الدامغة على إثبات وحدانية الله تعالى.
- دعوة الناس للإيمان باليوم الآخر، وأنه يوم الجزاء على الأعمال.
- تقرير مصير الناس بعد الموت، وأنه لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا الجنة الأبدية أو النار الأبدية.

فجاءت الآيات القرآنية في هذه الحقبة مقررة لعقيدة التوحيد، ومنددة على المشركين عبادتهم للأصنام، ودمغت عقولهم بأنواع

البراهين الساطعة والحجج البالغة، فلما أقام القرآن الحجة عليهم وطلب منهم الإجابة على بعض التساؤلات التي تحوي في أجوبتها ما أراده الله من إظهار فساد أعمالهم وعقائدهم حادوا عن الجواب وقالوا: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقد كذبوا في قولهم هذا، وإنما قالوها هروبا من الواقع الذي ساقهم القرآن إليه.

إن القرآن نص صراحة على أن المشركين عبدوا الأوثان واتخذوها أربابا من دون الله، وقصدوها بالدعاء وكشف الكربات، والذبح والنذور، وإذا حجوا البيت ذكروا آلهتهم بالتلبية، وكانوا يغضبون لها وينتصرون لها ممن آذاها بسب أو غيره، لذلك نقموا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأن انتقص آلهتهم وناصبوه العداء والحرب، ويقولون في حربهم معه: أعل هبل، لذلك فضح القرآن قصدهم وأبان كذبهم في دعواهم، وقد أنزل الله تعالى قرآنا يتلى، وهو من أمهات الآيات المكية التي أنزلت في هذه الفترة، فمن ذلك قوله تعالى ناهيا المسلمين من التعرض للأصنام بالسب والشتم على مسمع المشركين فقال: { **وَلا تَسُبُّوا الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلم** } قال الطبري: قال مشركو قريش: يا محمد، لتنتهين عن سبِّ آلهتنا، أو لنهجوَنَّ ربك ! فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم، فيسبوا الله عدوًا بغير علم [15].

لذا لو كانت عظمة الله تعالى في قلوبه أكبر من أصنامهم ما سبوا الله تعالى انتقاما لأصنامهم.

---

[15] تفسير الطبري (34/12) .

فالمنكر للاستغاثة لم يورد دليلا قطعي الدلالة على صحة ما يقول سوى هذه الآيات التي أنزلت في حق المشركين فحملوها على المؤمنين، وهذه هي دعوى الخوارج في كل عصر، فقد روى البخاري أن ابْنُ عُمَرَ كان يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللهِ وَقَال: إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا إِلى آيَاتٍ نَزَلتْ فِي الْكُفَّارِ فَجَعَلُوهَا عَلى المؤْمِنِينَ، وكان أول ما خرج هؤلاء في قرية بالعراق اسمها حروراء، وقد قاتلهم سيدنا علي رضي الله عنه.

ومن سيماهم: أنهم يرون أنفسهم على الحق وغيرهم على الباطل، وهذه دعوى من ينكر الاستغاثة هذه الأيام، فيرون أنهم هم الفرقة الناجية وغيرهم هلكى، وهذه كتبهم ودروسهم طافحة بذلك، فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال لأخيه كافر فقد باء بها أحدهما قال الباجي: أي إن كان المقول له كافرا فهو كما قال، وإن لم يكن خيف على القائل أن يصير كذلك، وقال بن عبد البر: أي احتمل الذنب في ذلك القول أحدهما قال في سماع أشهب: سئل مالك رحمه الله عن هذا الحديث قال: أرى ذلك في الحرورية قيل: أتراهم بذلك كفار؟ فقال: ما أدري ما هذا قال: والحديث رواه بن وهب عن مالك عن نافع عن بن عمر وهو صحيح لمالك عنه، وعن بن دينار: إذا سمعت الرجل يقول: هلك الناس فهو أهلكهم قال مالك: أي أقلهم وأرداهم إذ يقول ذلك، بمعنى أنا خير منهم [16].

---

[16] تنوير الحوالك – (1 / 708) .

وخلاصة الأمر:

أن هذه الآيات التي أوردها المنكرون لا يصح الاستدلال بها ولا الاستناد إليها في دعواهم، ذاك لأن المشرك عبد صنما، اتخذه إلها من دون الله، وفزع إليه في الملمات، وعظمت مكانته في قلبه حتى سجد له، وحلق عنده ونذر وذبح له، وفي المقابل هذا مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، استغاث بنبيه ولم يعتقد أنه يضر وينفع من دون الله، ولم يتخذه إلها ولا ربا، وجعله وسيلة فيما بينه وبين الله، فثم فرق واضح بين المسألتين، وبون شاسع بين الصورتين، والدليل إذا داخله الاحتمال سقط به الاستدلال.

رد الشبهة الثانية:

وهي قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس: إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعذ بالله.

قلت: إن الاستشهاد بهذا الحديث بمنع الاستغاثة باطل لتعارضه مع نصوص أخر من الكتاب والسنة نصت صراحة على جواز الاستغاثة بغير الله، فمن ذلك قوله تعالى على لسان ذي القرنين: (فأعينوني بقوة) فهذه آية قطعية الدلالة والثبوت نصت على أن عبدا استغاث بعبد مثله، وهذا الحديث الذي أورده المانعون والذي يعتبر ظني الدلالة والثبوت يمنع الاستعانة بغير الله، بأيهما نأخذ؟ بالقطعي أم بالظني؟؟ لذا لا بد في هذه المسألة من تفصيل؛

إن هذا الحديث ضعيف الإسناد، والحديث الضعيف لا يحتج به في الأحكام أو العقائد، والمانعون للاستغاثة يقولون بأنها (أي

الاستغاثة) من مسائل العقيدة فلا يصح الاستشهاد بمسائلها إلا بما صح من آثار، قال العقيلي:
عبد الواحد بن سليم مجهول في النقل وحديثه غير محفوظ، ولا يُتَابَعُ عليه.

وقال ايضا: وقد روي هذا الكلام عن بن عباس من غير طريق أسانيدها لينة وبعضها أصلح من بعض.

وقال ابن عدي: محمد بن نوفل هذا يحدث بأحاديث غير محفوظة ويشبه أن يكون ضعيفا [17].

فال ابن رجب الحنبلي: هذا الحديث خرَّجه الترمذيُّ من رواية حَنَشٍ الصنعاني ، عن ابنِ عباس ، وخرَّجه الإمامُ أحمد من حديث حنش أيضاً مع إسنادَيْن آخرين منقطعين ولم يُميز لفظ بعضها من بعض، واللفظُ الذي ذكره الشيخ رواه عبدُ بنُ حُميد في "مسنده" بإسناد ضعيفٍ عن عطاء، وقد روي عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه وصَّى ابن عباس بهذه الوصية من حديث عليٍّ بن أبي طالب ، وأبي سعيد الخدري، وسهل بن سعد، وعبد الله بن جعفر، وفي أسانيدها كلها ضعف[18].

إن هذا الحديث مع ضعف إسناده فإنه لا يدل على منع الاستغاثة، فهو مقرر لمسألة القضاء والقدر، وأن الله هو النافع وهو الضار، وهو الذي بيده مقاليد الأمور وحده، لم يجعل تدبير خلقه لأحد غيره، وأنَّ مدارَ هذه الوصية على هذا الأصل، فإنَّ العبد إذا علم أنَّه لن يُصيبَه

---

[17] الكامل لابن عدي – (7 / 61) و الضعفاء للعقيلي (3 / 53) .

[18] جامع العلوم والحكم – (20 / 4) .

إلا ما كتبَ الله له مِنْ خير وشرٍّ ونفعٍ وضرٍّ ، وأنَّ اجتهادَ الخلق كلِّهم على خلاف المقدور غيرُ مفيد البتة، علم حينئذٍ أنَّ الله وحده هو الضَّارُّ النَّافعُ المعطي المانع ، فأوجبَ ذلك للعبدِ توحيدَ ربِّه عز وجل وإفرادَه بالطاعة وحفظَ حدوده، فإنَّ المعبود إنَّما يقصد بعبادته جلبَ المنافع ودفع المضار، فمن علم أنَّه لا ينفعُ ولا يضرُّ ولا يُعطي ولا يمنعُ غيرُ الله ، أوجبَ له ذلك إفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرُّع والدعاء ، وتقديم طاعته على طاعةِ الخلق جميعاً، وأنْ يتّقي سخطه ولو كان فيه سخطُ الخلق جميعاً ، وإفراده بالاستعانة به والسؤال له، وإخلاص الدعاء له في حال الشدَّة وحال الرَّخاء، بخلاف ما كان عليه المشركون من إخلاص الدعاء له عندَ الشدائد ونسيانه في الرخاء.

إن الاستغاثة والتوسل بعباد الله الصالحين لا علاقة لها بالقضاء والقدر، ولا علاقة لها بعبادة غير الله، فإن الله أقام عبادا له لمنفعة خلقه، وبذلك رغبهم ورتب على ذلك الأجر العظيم، فقد روى الطبراني عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَال: قَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم:إِنَّ لِلهِ عَزَّ وَجَل خَلْقًا خَلقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ أُولئِكَ الآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ[19].

فقول النبي صلى الله عليه وسلم: يفزع الناس إليهم أليس هو استغاثة؟ وقد رتب الأجر العظيم على إمداد من استغاث فقال:

---

[19] المعجم الكبير للطبراني – (10 / 491) مسند الشهاب للقضاعي – (4 / 46) قال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه عبد الرحمن بن أيوب ضعفه الجمهور، وحسّن حديثه الترمذي، وأحمد بن طارق الراوي عنه لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

أولئك هم الآمنون من عـذاب الله، فهـل هـم مشـركون أو عاصـون بهذه الاستغاثة؟؟ وهل أقرهم النبي صلى الله عليه وسـلم علـى هـذا الشرك والعصيان؟؟ .

وروى الطبراني أيضا عَنْ عَبْدِ اللهِ بـن عَمْـرٍو قَـال: قَـال رَسُـولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم :"إِنَّ لِلهِ عِنْدَ أَقْوَامٍ نِعِمًا يُقِرُّهَا عِنْدَهُمْ مَـا كَـانُوا فِي حَوَائِجِ النَّاسِ، مَا لم يَمَلُّوهُمْ فَـإِذَا مَلـوُهُمْ نَقَلـهَا مِـنْ عِنْـدَهِمْ إِلى غَيْرِهِمْ"[20] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم "إن لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العبـاد مـا بـذلوها فإذا منعوها نزعها عنهم وحولها إلى غيرهم"[21] .

وروى ابن عساكر عن عبد الله بن عمر قال: قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم إن لله عبادا اختصهم بالنعم لمنـافع العبـاد فمـن بخـل بتلـك المنـافع عـن العبـاد نقـل الله تلـك الـنعم عـنهم وحولهـا إلى غيرهم[22] .

قال معاوية بن يحيى: حدثت بهذا الحديث يزيد بن هـارون فقـال: لو ذهب إنسان في هذا الحديث إلى خراسان لكان قليلا.

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: من أعان مسلما بكلمة، أو مشى معه خطوة، حشـره الله يـوم القيامـة مع الأنبياء والرسل وأعطاه أجر سبعين شهيدا قتلوا في سبيل الله .

---

[20] المعجم الأوسط للطبراني – (18 / 163) .

[21] طبقات الحنابلة – 1 / 28) تاريخ دمشق – (59 / 295) .

[22] تاريخ دمشق – (59 / 295) .

هذا هو الهدي النبوي بالترغيب بإغاثة من استغاث به، ورتب الأجر العظيم على من مشى في حاجة أخيه.

رد الشبهة الثالثة:

وهي أن الاستغاثة هي مسألة عقدية، ومسائل العقيدة لا يقبل فيها بأدلة أقل من الصحيح.

قلت: إن مسائل العقيدة تدور حول ما يجب على المكلف شرعاً أن يعرف من صفات الله وما يجوز في حقه وما يستحيل عليه، ومثل ذلك للأنبياء، وهي مفسرة لكلمة التوحيد بشقيها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فالشق الأول تسمى (الإلهيات) وهي جملة العقائد التي يختص بها الإله، والثانية تسمى (النبويات) وهي جملة العقائد التي يختص بها الأنبياء المبلغون عن الله أحكامه، وقسم ثالث يسمى (السمعيات) وهي ما سمعناه من القرآن والسنة من الأمور الغيبية، والتي يجب الإيمان بها كاليوم الآخر وما فيه، والجنة والنار، والقبر وما فيه من نعيم أو عذاب000الخ فهذه الأمور تسمى علم التوحيد، أو علم الكلام، قال في إيضاح الدليل:

«علم التوحيد علم يعنى بمعرفة الله تعالى والإيمان به ومعرفة ما يجب له سبحانه وما يستحيل عليه وما يجوز وسائر ما هو من أركان الإيمان الستة وما يلحق بها، وهو أشرف العلوم وأكرمها على الله تعالى، لأن شرف العلم يتبع شرف المعلوم، لكن بشرط أن لا يخرج عن مدلول الكتاب والسنة الصحيحة، وإجماع العدول وفهم العقول السليمة في حدود القواعد الشرعية وقواعد اللغة العربية الأصيلة، ثم قال:

وأحب أن أنبه إلى أمر هام وهو: أنهم يعنون بعلم التوحيد الواجب على المسلم تحصيله أنه لا يجب على المسلم معرفة مصطلحات علم التوحيد أو الكلام من الصانع والهيولي والجوهر والعرض وأمثالها، بل المقصود أنه يجب على المكلف أن يعرف الصانع المعبود بدلائله التي نصبها على توحيده ـ سبحانه ـ واستحقاقه نعوت الربوبية، والمقصود حصول النظر والاستدلال المؤدي إلى معرفة الله تعالى، وإنما استعمل المتكلمون تلك الألفاظ من الجوهر والعرض على سبيل التقريب والتسهيل على المتعلمين، والسلف الصالح وإن لم يستعملوا هذه الألفاظ فلم يكن في معارفهم خلل، والخلف الذين استعملوا هذه الألفاظ لم يكن ذلك لطريق الحق مباينة، ولا في الدين بدعة، كما أن المتأخرين من الفقهاء عن زمن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم استعملوا ألفاظ الفقهاء من العلة والمعلول والقياس، ثم لم يكن استعمالهم لذلك بدعة، وقل مثل ذلك في المحدثين الذين أوجدوا مصطلحات وعناوين معينة في رواة الحديث وفنونها من حيث القوة والضعف والقبول والرفض، ولم يكن استعمال ذلك منهم بدعة منكرة ـ معاذ الله ـ وإنما هي اصطلاحات خاصة قامت بكل فن، ولا مشاحة في الاصطلاح لح[23] .

قال العلامة محمد بن الهاشمي: وكذا يجب على المكلف معرفة الحكم الشرعي ومعرفة أقسامه ليميز بين قولهم: يجب لله كذا ويجب على المكلف كذا، أي ليميز بين الحكم العقلي وأقسامه وبين الحكم

[23] إيضاح الدليل (1 / 1) لابن جماعة .

الشرعي وأقسامه، وكذا يجب عليه معرفة الحكم العادي وأقسامه ليميز بين التلازم العقلي والربط العادي بين الأسباب ومسبباتها، أي ليتضح له الفرق بين التلازم العقلي كالتلازم بين الجرم والعرض فإنه عقلي لا يصح تخلفه، وبين الربط العادي بين الأسباب العادية ومسبباتها كالربط بين الأكل والشبع، فإنه عادي يصح تخلفه، فقد يوجد الأكل ولا يوجد الشبع أو العكس، لأن خطر الجهل في هذا العلم عظيم[24].

لذا علمنا أن مسألة الاستغاثة لا تمت لعلم العقيدة بصلة، وأن المنكرين لها لم يفرقوا بين ما هو عقيدة يجب الإيمان به، وبين ما ليس من العقيدة.

إن هذه المسألة هي مسألة فقهية فرعية من فروع الفقه وجزئياته، من الفقهاء من أدرجها في كتاب الحج، باب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم .

رد الشبهة الرابعة:

وهي أن الاستغاثة إن قلنا بجوازها تكون بالأحياء دون الأموات، وذلك لانقطاع التكليف الشرعي وكذا النفع والتصرف، فلو قلنا: أن الميت ينفع لنفع نفسه، كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث000قالوا: ودليلنا على ذلك استسقاء عمر بالعباس.

---

[24] مفتاح الجنة شرح عقيدة أهل السنة ص 29 وما بعدها .

قلت: إن القائل بهذا القول ربما يكون إلى ما رمى به المؤمنين أقرب، لأن عقيدتنا ـ معشر الموحدين ـ أن المتصرف في الكون هو الله وحده، وأن ما نسب إلى العبد من ذلك ـ كما أسلفنا ـ إنما هو مجاز، لأن الله هو الفاعل، والعبد محل الفعل، وقد أحصر الجواب على هذه الشبهة بثلاث نقاط:

الأولى: إن نظرية انقطاع نفع الميت وتصرفه هي عقيدة يهودية بحتة، وفرق بين من قال بانقطاع عمل الميت من العلماء وبين انقطاع نفعه، فانقطاع عمله لا يعني انقطاع نفعه، جاء في التوراة: "لكل الأحياء يوجد رجاء، فإن الكلب الحي خير من الأسد الميت، لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون، أما الموتى فلا يعلمون شيئا، وليس لهم أجر بعد، لأن ذكرهم نسي، ولا نصيب لهم بعدُ إلى الأبد في كل ما عُمل تحت الشمس "[25].

فهذه العقيدة لا تختلف عما يقوله المنكرون للاستغاثة لا من حيث الجوهر ولا من حيث اللغة.

الثانية: إن المسلم إذا مات فقد انتقل من دار الدنيا إلى دار أخرى وهي البرزخ، وفي هذه الدار يقع التنعم للمسلم والعذاب للكافر، وجاء في القرآن وصحيح السنة نصوص قاطعة دلت على صحة ما نقول، ومما جاء في القرآن:

---

[25] العهد القديم، سفر جامعة ، إصحاح (9) ص(981) .

* قوله تعالى فيما حكاه عن سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام عندما أهلك الله قومه: { فَتَوَلى عَنْهُمْ وَقَال يَا قَوْمِ لقَدْ أَبْلغْتُكُمْ رِسَالةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لكُمْ وَلكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ [26]}.

* ومثل ذلك ما حصل لسيدنا صالح عليه الصلاة والسلام عندما أهلك الله قومه فقال:{ فَتَوَلى عَنْهُمْ وَقَال يَا قَوْمِ لقَدْ أَبْلغْتُكُمْ رِسَالةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لكُمْ وَلكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ [27] }.

ففي هذا دليل على حياة هؤلاء الأموات الذين أهلكهم الله تعالى، ولو لم يكونوا أحياء لم يخاطبهم أنبياؤهم بعد هلاكهم، لأن مخاطبة من لا يعقل ضرب من العبث الذي ننزه أنبياء الله عنه.

ومما جاء في صحيح السنة من هذا القبيل ما رواه البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم خاطب القتلى من مشركي قريش في معركة بدر بعد أن ألقاهم في القليب فقال: يَا فُلان بْنَ فُلان وَيَا فُلانُ بْنَ فلان أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمْ اللهَ وَرَسُولهُ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَقَال عُمَر: يَا رَسُول الله، مَا تُكَلم مِنْ أَجْسَادٍ لا أَرْوَاحَ لهَا؟! فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لما أَقُولُ مِنْهُمْ [28] .

فهذا يدلنا على أن الكافر حي في قبره يعذب، ومثل ذا جاء أن المؤمن حي في قبره ينعم، فكما أن الكافر معذب بكفره كذلك المؤمن حي في قبره ينعم بإيمانه بالله تعالى، فقد روى الترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

---

[26] سورة الأعراف (93) .

[27] سورة الأعراف (79) .

[28] صحيح البخاري – (12 / 372) .

قَال: ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم خِبَاءَهُ عَلى قَبْرٍ وَهُوَ لا يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الذِي بِيَدِهِ المُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا فَأَتَى النَّبِيَّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم فَقَال: يَا رَسُول اللهِ إِنِّي ضَرَبْتُ خِبَائِي عَلى قَبْرٍ وَأَنَا لا أَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ المُلْكِ حَتَّى خَتَمَهَا فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم: هِيَ المانِعَةُ هِيَ المُنْجِيَةُ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ[29]

قَال أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْه.

وروى أبو نعيم عن جبير قال: والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتا البناني في لحده، ومعي حميد الطويل، فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة، فإذا هو قائم يصلي في قبره، وكانوا يمرون عليه بالأسحار فيسمعون قراءة القرآن من قبره [30].

قلت: وسيدنا ثابت رضي الله عنه هو أحد أعيان الصوفية، فقد روى ابن أبي الدنيا عن جعفر قال: سمعت ثابتا البناني مالا أحصي يقول في دعائه : « اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لي أن أصلي في قبري » فأعطاه الله تعالى شرف عبادته في قبره يتنعم بها، وأي نعيم أعظم من التنعم بعبادة الله تعالى.

ومما جاء مثبتا حياة المؤمن بعد موته ما قاله الله تعالى عن الشهداء: **وَلا تَحْسَبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ***

---

[29] سنن الترمذي - (10 / 126) .

[30] أحكام تمني الموت ص40.

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * سورة آل عمران (171) بل قد نهى الله تعالى أن نصف الشهداء بالموت فقال: **وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ*** البقرة (154).

وهذه الآيات التي جاءت في القرآن أثبتت تصرف الشهداء في برزخهم، فقد روى احمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم: لما أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَل اللهُ عَزَّ وَجَل أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلى قَنَادِيل مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْش، فَلما وَجَدُوا طِيبَ مَشْرَبِهِمْ وَمَأْكَلِهِمْ وَحُسْنَ مُنْقَلَبِهِمْ قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلمونَ بِمَا صَنَعَ اللهُ لَنَا لِئَلا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلا يَنْكُلُوا عَنْ الْحَرْب، فَقَال اللهُ عَزَّ وَجَل: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ فَأَنْزَل اللهُ عَزَّ وَجَل هَؤُلاءِ الآيَاتِ عَلى رَسُولِهِ [31].

قلت: ومن لطيف ما سأذكره ـ إن شاء الله ـ بعد قليل أن المراسلات في الدنيا قائمة وذلك لقضاء حوائج الناس، ومما اصطلح عليه الناس في هذا المجال هو البريد، ووظفوا موظفين من أجل هذه الخدمة، وقد تعدى البريد عند المسلمين إلى أن جاوز الدنيا، واتصل بريدهم في البرزخ، وأصبحت المراسلات متبادلة بين الدارين، من الدنيا إلى البرزخ، ومن البرزخ إلى الدنيا، وسأذكر شيئا مما جاء في هذا المراسلات وجاءت به كتب السنة، وسأقتصر من ذلك على حالتين،

---

[31] مسند أحمد - (5 / 299) .

لأثبت من خلالهما أن الكون عامر، الدنيا عامرة بأهلها، والبرزخ عامر بأهله، ولكل أناس من سكان هاتين الدارين تصرف يليق بتلك الدار الذي يعمرها:

أولا : البريد النبوي من الدنيا إلى البرزخ:

روى الحافظ ابن أبي الدنيا أن رجلا من الأنصار توفيت امرأته، فرأى نساء في المنام ولم ير امرأته معهن، فسألهن عنها فقلن: إنكم قصرتم في كفنها فهي تستحي أن تخرج معنا، فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: انظر إلى ثقة من سبيل، فأتى رجلا من الأنصار حضرته الوفاة فأخبره فقال الأنصاري: إن كان أحد يبلغ الموتى بلغته قال: فتوفي الأنصاري فجاء بثوبين مبرورين بالزعفران، فجعلهما في كفن الأنصاري، فلما كان الليل رأى النسوة ومعهن امرأته وعليها الثوبان الأصفران[32] .

ثانيا : البريد من البرزخ إلى الدنيا

روى غير واحد عن ثابت بن قيس رضي الله عنه، وكيف استشهد يوم اليمامة وفيه: ورأى رجل من المسلمين ثابت بن قيس رضي الله عنه في منامه فقال : إني لما قتلت بالأمس مر بي رجل من المسلمين فانتزع مني درعا نفيسة ومنزله أقصى العسكر، وعند منزله فرس يستن في طوله، وقد أكفى على الدرع برمة، وجعل فوق البرمة

---

[32] المنامات – (1 / 227) .

رحلا، فأت خالدا فليبعث إلى درعي فليأخذها، فإذا قدمت على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه أن عليّ من الدين كذا، ولي من المال كذا، وفلان من رقيقي عتيق، وإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه ، فأتى خالدا فبعث إلى الدرع فوجدها كما ذكر، وقدم على أبي بكر رضي الله عنه فأخبره فأنفذ أبو بكر رضي الله عنه وصيته، ولا يعلم أن أحدا جازت وصيته بعد موته إلا ثابت بن قيس رضي الله عنه[33] .

حاتم الطائي يقري أضيافه بعد موته

وقد تعدى تصرف الأموات في القبر إلى غير المؤمنين، فمن ذلك ما أورده ابن كثير رحمه الله عن المحرر مولى أبي هريرة قال: مر نفر من عبد القيس بقبر حاتم طيئ فنزلوا قريبا منه فقام إليه بعضهم يقال له أبو الخيبري فجعل يركض قبره برجله ويقول: يا أبا جعد أقرنا.
فقال له بعض أصحابه: ما تخاطب من رمة وقد بليت؟ وأجنهم الليل فناموا، فقام صاحب القول فزعا يقول: يا قوم عليكم بمطيكم فإن حاتما أتاني في النوم وأنشدني شعرا وقد حفظته يقول:

أبا الخيبري وأنت امرؤ ظلوم العشيرة شتامها
أتيت بصحبك تبغي القرى لدى حفرة قد صدت هامها
أتبغي لي الذنب عند المبي ت وحولك طئ وانعامها

[33] دلائل النبوة للبيهقي - (7 / 162) .

وإنـــا لنشـــبع أضيافـــنا ونـــأتي الْمطي فنعتامهـــا

قال: وإذا ناقة صاحب القول تكوس عقيرا فنحروها وقاموا يشتوون ويأكلون، وقالوا: والله لقد أضافنا حاتم حيا وميتا، قال: وأصبح القوم وأردفوا صاحبهم وساروا فإذا رجل ينوه بهم راكبا جملا ويقود آخر، فقال: أيكم أبو الخيبري؟ قال: أنا قال: إن حاتما أتاني في النوم فأخبرني أنه قرى أصحابك ناقتك، وأمرني آن أحملك وهذا بعير فخذه ودفعه إليه[لخ لح].

فهذا حاتم الطائي الذي كان مشهورا بكرمه في العرب، ومن كرمه المشهور أنه ذبح فرسه لضيفه عندما لم يجد ما يقوم بواجب الضيافة، أعطاه الله تعالى في قبره ما كان مشهورا به في حياته، فكما رأينا مما مر أن رجلا كان مولعا بقراءة سورة الملك، فلما مات سمعه الصحابي يقرأها في قبره، وثابتا البناني الذي حبب الله له الصلاة في الدنيا أعطاه الله في قبره ما كان يحبه في الدنيا، فكذاك جرى كرم الله تعالى على من اتصف بصفة من صفاته سبحانه وهي الكرم أن أعطاه ما كان يحب في الدنيا، وفي هذا إثبات تصرف الأموات في قبورهم.

حياة الأنبياء في البرزخ:

لما قلنا أن بالموت انقطاع للتكليف الشرعي، قلنا أن للأنبياء حياة أكمل من حياتهم في دار الدنيا وذلك لعدم انشغال الروح بتدبير هذا

---

[34] البداية والنهاية - (2 / 276) .

الجسم الترابي، ولزيادة قربهم من الله بزيادة حسناتهم، وزيادة الحسنات هي من أعمال أممهم الذين آمنوا بهم، لأن من دل على خير فله مثل أجر فاعله، وقد ورد في صحيح السنة مما يفيد أن الأنبياء ما زالوا أحياء في البرزخ، حياة تليق وتلك الدار، مع إثباتنا أنهم ماتوا الموتة الحسية ما خلا سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، وأنهم ما زالوا يعبدون الله تعالى، لا عبادة تكليف وإنما عبادة تشريف، فقد جاء في صحيح مسلم وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به مر بسيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وهو يصلي في قبره، والصلاة عبادة لله تعالى، وبما أن التكليف الشرعي قد انقطع بالموت لقوله تعالى: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قلنا أن هذه العبادة هي عبادة كعبادة الملائكة، ولا تقع العبادة إلا من شخص حي له إدراك وله قدرة وإرادة.

ومما جاء أيضا ما رواه مسلم في صحيحه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَال: عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بوادى الأزرق فقال « أى واد هذا؟ فقالوا: هذا وادى الأزرق، قال: كأنى أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية، ثم أتى على ثنية هرشى فقال: أى ثنية هذه ؟ قالوا ثنية هرشى قال: كأنى أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة وهو يلبى ». برلح .

---

[35] صحيح مسلم - (1 / 393) .

ومما يدل على حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حديث المعراج الذي جاء من غير ما طريق صحيح، فقد روى مسلم في صحيحه عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتيت بالبراق - وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه - قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى يربط به الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل صلى الله عليه وسلم: اخترت الفطرة. ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا، فإذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما فرحبا ودعوا لى بخير، ثم عرج بى إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد صلى الله عليه وسلم، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم، إذا هو قد أعطى شطر الحسن، فرحب ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب ودعا لى بخير قال الله عز وجل:

(ورفعناه مكانا عليا) ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه؟ ففتح لنا فإذا أنا بهارون صلى الله عليه وسلم فرحب ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بموسى صلى الله عليه وسلم، فرحب ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد صلى الله عليه وسلم قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بى إلى السدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليّ ما أوحى، ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف على أمتي، فحط عنى خمساً فرجعت إلى موسى فقلت: حط عنى خمساً قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال:

يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة - قال - فنزلت حتى انتهيت إلى موسى -صلى الله عليه وسلم، فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقلت قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه . ترلح.

فهذا الحديث صريح في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأنه وإن كان بعضهم رئي في الأرض يصلي أو يلبي في الحج فهو أيضا في السماء مع الملائكة، لأن الحكم أصبح للروح، والروح مطلقة غير مقيدة، وحكمها يختلف عن حكم الجسم، فهم بحالة أكمل مما كانوا عليه في الأرض، لم يحصروا في أرض ولا في سماء، بل هم متنقلون في الملكوت الأعلى، يذهبون حيث يشاءون، ولهم من التصرف ما يليق بكمالهم، وقد رأينا من هذا الحديث أن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام كان سببا في تخفيف الصلاة عن أمتنا من خمسين إلى خمس، جزاه الله عن أمتنا خير الجزاء.

ومما جاء أيضا ما رواه الطبراني عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُ، قَال: قَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم: رَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم لَيْلةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَال: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِأْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الماءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ،

---

[36] صحيح مسلم - (1 / 385) ، صحيح البخاري - (12 / 273) بتغيير ببعض ألفاظه وغيرهم بسند صحيح.

وَغِرَاسُهَا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلا إِلـهَ إِلا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَـرُ، وَلا حَوْل وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ [37].

وهذا الحديث يـدلنا أيضـا علـى تصـرف الأنبيـاء علـيهم الصـلاة والسلام، وحرصهم على مصلحتنا ـ معشر المسلمين ـ وهذه الوصـية من أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لا تكون إلا من إنسان حي لـه إدراك وقدرة وسمـع وبصـر وكـلام، وهـو وإن كـان قـبره في مدينـة الخليل لكن نبينا عليه الصـلاة والسـلام رآه مسـندا ظهـره إلى البيـت المعمور في السماء السابعة، وكلم نبينا وأوصاه بما رأينا.

حياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لما رأينا أن من انتقل إلى البرزخ من البشـر أصـبح في حيـاة أخـرى تليق وتلك الدار، وأن الكفـار يعـذبون، وأن المـؤمنين ينعمـون، وأن التصرف لم ينقطع بالموت، فما كان بعضهم متصفا به في حياته أجـراه الله عليه في قبره، من الصلاة وقـراءة القـرآن وإطعـام الضـيف، ولمـا رأينـا أن الأنبيـاء علـيهم الصـلاة والسـلام أحيـاء في الـبرزخ، ولهـم تصرف يليق ومقامهم، وأن منهم من تعدى نفعه إلى هذه الأمـة مثـل أبينا إبراهيم وسيدنا موسـى عليهمـا الصـلاة والسـلام، ومـنهم مـن سمعه النبي رافعا صوته بالتلبية، قلنا إن لنبينـا محمـد صـلى الله عليـه وسلم زيادة على هذا كله، فله التصرف المطلق ولـه العبـادة المطلقـة،

[37] المعجم الكبير للطبراني - (9 / 18) .

وله إمداد من استغاث به، وله الحياة الكاملة التي ليست فوقها حياة إلا أن تكون الجنة، وله والتنقل في الملكوت الأعلى وفي الأرض، لأنه أفضل الخلق على الإطلاق، وأعطاه الله ما لم يعط أحدا من خلقه، وسأفصل ذلك إن شاء الله فأقول:

ما جاء في السنة على حياته عليه الصلاة والسلام:

* ما رواه احمد عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ قَال: قَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم: مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِض، وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَة، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلاةِ فِيه، فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ فَقَالُوا: يَا رَسُول اللهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ صَلاتُنَا وَقَدْ أَرِمْتَ؟ يَعْنِي (وَقَدْ بَلِيتَ) قَال إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل حَرَّمَ عَلى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُل أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ صَلوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ [سملح].

فقوله عليه الصلاة والسلام: فإن صلاتكم معروضة علي، يعني أنه حي لأن العرض لا يكون إلا على إنسان حي.

* ما رواه غير واحد عن بكر بن عبد الله المزني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، فما كان من حسن حمدت الله عليه، وما كان من سوء استغفرت الله لكم[شملح] .

---

[38] مسند أحمد – (32 / 389) سنن النسائي – (5 / 208) سنن أبي داود – (3 / 239) سنن ابن ماجه – (3 / 386) صحيح ابن خزيمة – (6 / 342) مصنف ابن أبي شيبة – (2 / 57) السنن الكبرى للبيهقي –المعجم الكبير للطبراني – (1 / 252) صحيح ابن حبان – (4 / 310) وغيرهم بسند صحيح،

[39] بغية الحارث – (1 / 288) مجمع الزوائد (8 / 313) .

وهذا كالذي قبله، فأعمالنا تعرض على نبينا في البرزخ، فما وجد في صحائفنا من حسنات يحمد الله تعالى على ما وفق أمته من الأعمال الصالحة، وما وجد فيها من سيئات استغفر لأمته، وهذه الأمور لا تكون قطعا إلا من إنسان حي له تصرف، وهذا من إمداده لأمته عليه الصلاة والسلام وهو في البرزخ، قال الترمذي الحكيم: ولمحمد صلى الله عليه وسلم مقام عند سدرة المنتهى، بباب الله عند الحجاب، متشمر هناك، يسأل الله لأمته في كل يوم صنف، فللمذنبين التوبة، وللتائبين الثبات، وللمستقيمين ولأهل الصدق وفارة الحظ لمخلخ.

* روى البيهقي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن لله ملائكة سياحين في الأرض ، يبلغوني عن أمتي السلام لمخلخ. فهذه أحاديث صحيحة أفادت أن النبي صلى الله عليه وسلم حي في البرزخ، له تصرف في أمته، يشفع لهم عند الله تعالى، ويبلغه سلام أمته فيرد عليهم.

النقطة الثالثة:

وهي لا فرق بين الحياة والموت ما دام أن الله هو الفاعل:

لا فرق في الاستغاثة بين الحياة والموت، ولا شأن لحياة أو موت ما دام أن الله تعالى هو المتصرف في ملكه، ومعلوم عندنا معشر الموحدين أن الله تعالى واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في

---

[40] نوادر الأصول ص (409) .

[41] مسند أحمد - (8 / 19) سنن النسائي - (5 / 51) .

أفعالـه، ومعنـى: واحـد في أفعالـه: أي أن الله تعـالى هـو الفاعـل في الوجود لا متصرف علـى الحقيقـة إلا هـو، وأن مـا يـبرز مـن أفعـال العباد إنما هو خلق لله قـال تعـالى: والله خلقكـم ومـا تعملـون، قـال الطبري: في تأويل هذه الآية وجهان:

أحدهما: أن يكون قولـه "مـا" بمعنـى المصـدر، فيكـون معنـى الكـلام حينئذ: والله خلقكم وعملكم، والآخر أن يكون بمعنى"الذي"، فيكـون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكـم والـذي تعملونـه: أي والـذي تعملون منه الأصنام، وهو الخشـب والنحـاس والأشـياء الـتي كـانوا ينحتون منها أصنامهم.

قلت: يجوز تأويل هذه الآية على الوجهين الذين ذكرهمـا الطـبري رحمه الله، وهذه الآية هي من أمهات الأدلة التي احتج بها أهل السـنة على أن الله تعالى هو خالق للعبد ولفعله، ولو كانت الآية دالـة علـى أن المقصود بقولـه: ومـا تعملـون، هـي الأصـنام فقـط لكـان الـنص القرآني: والله خلقكم ومـا تنحتـون، لأن الـنص جـاء بهـذا، والآيـة كانت تتحدث عن الأصنام التي كان يعبدها قوم النمرود.

لذلك قال أهل السنة: إن الله خالق للعبد ولفعله، خلافا للمعتزلـة القائلين: إن العبد خالق لأفعاله الاختيارية .

قال الغزالي: وذهبت المعتزلة إلى انكار تعلق قدرة الله تعـالى بأفعـال العباد من الحيوانات والملائكة والجن والإنـس والشـياطين، وزعمـت أن جميع ما يصدر منها من خلق العباد واختراعهم لا قـدرة لله تعـالى عليها بنفي ولا إيجاب فلزمتها شناعتان عظيمتان:

إحداهم: انكار ما أطبق عليه السلف رضي الله عنهم من أنه لا خالق إلا الله ولا مخترع سواه، والثانية نسبة الاختراع والخلق إلى قدرة من لا يعلم ما خلقه من الحركات، فإن الحركات التي تصدر من الإنسان وسائر الحيوان لو سئل عن عددها وتفاصيلها ومقاديرها لم يكن عنده خبر منها□لخ .

قال الباقلاني: اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى هو الخالق وحد، لا يجوز أن يكون خالق سواه، فإن جميع الموجودات من أشخاص العباد وأفعالهم وحركات الحيوانات قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها خلق له تعالى لا خالق لها غيره؛ فهي منه خلق وللعباد كسب، فالواحد منا إذا سمى فاعلاً فإنما يسمى فاعلاً بمعنى أنه مكتسب، لا بمعنى أنه خالق لشيء.

وقالت المعتزلة، والنجارية، والجهمية، والروافض: إن أفعال العباد مخلوقة للعباد بقدرة العباد، وإن كل واحد منا ينشىء ما ينشىء ويخلق ما يفعل، وليس لله تعالى على أفعالنا قدرة جملة، ونعوذ بالله من هذا الاعتقاد وسوء المقال، والدليل على صحة مذهب أهل السنة والجماعة وبطلان قول من خالفهم من أهل الزيغ والبدع الكتاب والسنة وإجماع الأمة وأدلة العقل؛ فالدليل من الكتاب أكثر مما يحصى، لكن أذكر منه ثلاثة تنبه اللبيب على بقيتها إن شاء الله تعالى، فمن ذلك قوله تعالى: " واللّه خلقكم وما تعملون " فأخبر تعالى أنه

---

[42] الاقتصاد في الاعتقاد (26/1) .

خالق لأعمالنا على العموم، كما أخبر أنه خالق لصورنا وذواتنا على العموم، وهذا من أوضح الأدلة من الكتاب.

الثاني: قوله تعالى: "الله خالق كل شيء" ومعلوم أن أفعالنا مخلوقة إجماعاً، وإن اختلفنا في خالقها، وهو تعالى قد أدخل في خلقه كل شيء مخلوق، فدل على أنه لا خالق لشيء مخلوق غيره سبحانه وتعالى.

الثالث: قوله تعالى: "اللّه الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون" والدلالة من هذه الآية من أوجه:

أحدها: أنه قال تعالى: "اللّه الذي خلقكم" وهذا عام في ذواتنا وصفاتنا، ثم أكد ذلك بقوله تعالى: "ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم" يعني ثم خلق أرزاقكم، وعند المخالف أن العبد يخلق أفعاله ورزقه، فهو خلاف ما أخبر الله تعالى به من كونه خالقاً لنا ولأرزاقنا.

الوجه الثاني: من الدلالة: أنه قال: "ثم يميتكم ثم يحييكم" فكما لا يقدر أحد أن يخلق موته ولا حياته، فكذلك لا يقدر أن يخلق فعله ورزقه؛ من حركة ولا سكون ولا غير ذلك[43].

وخلاصة الأمر:

أن انقطاع نفع الميت هو فكر يهودي تسرب إلى هذه الأمة، وأن الأنبياء والأولياء أحياء في قبورهم لهم تصرف يليق بمقامهم عند

---

[43] الإنصاف للباقلاني - (1 / 56) .

ربهم، وأنه لا فرق عند أهل السنة بين حياة النبي أو الولي المستغاث به، لأن المتصرف في الأشياء هو الله تعالى .

وأما احتجاجهم باستسقاء سيدنا عمر بسيدنا العباس رضي الله عنهما فله تأويلات عند العلماء منها:

* إن سيدنا عمر أراد من استسقائه بسيدنا العباس أن يعلم الناس مشروعية التوسل بآل بيت النبوة,

* اقتداؤه بالنبي صلى الله عليه وسلم في توقير العباس واحترامه، فقد جاء في بعض الروايات أن عمر قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد، فاقتدوا أيها الناس برسول الله واتخذوه وسيلة إلى الله، قال الحافظ القسطلاني: إن عمر كان يستسقي بالعباس متوسلا به للرحم التي بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم، فأراد عمر أن يصلها بمراعاة حقه إلى من أمر بصلة الأرحام، ليكون ذلك وسيلة إلى رحمة الله لخ لخ

* إن توسل عمر بالعباس إنما هو في الحقيقة توسل برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد جاء ذلك صريحا في كلام عمر والعباس، أما كلام عمر ففي البخاري عن أنس أن عمر كان إذا قحط الناس استسقى بالعباس فقال: اللهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ: فَيُسْقَوْنَ [44] لخ . فقوله: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا صريح في الذي نقول، وأكثر منه صراحة ما رواه ابن عبد البر وغيره عن أنس

---

[44] ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري (238/2) .

[45] صحيح البخاري - (4 / 99) .

أن عمر كان إذا قحط الناس استسقى بالعباس، وكان سبب ذلك أن الأرض أجدبت إجدابا شديدا على عهد عمر زمن الرمادة، وذلك سنة سبع عشرة للهجرة فقال كعب: يا أمير المؤمنين إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم قحط استسقوا بعصبة الأنبياء، فقال عمر: هذا عم رسول الله وصنو أبيه وسيد بني هاشم، فمشى عمر إليه وشكا إليه ما في الناس من القحط، ثم صعد المنبر ومعه العباس فقال: اللهم إنا توجهنا إليك بعم نبينا وصنو أبيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، ثم قال: قم يا أبا الفضل فادع.

وقال أيضا: روينا أيضا من وجوه عن عمر أنه خرج يستسقي وخرج معه العباس فقال: اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبينا ونستشفع به، فاحفظ فيه لنبيك كما حفظت الغلامين لصلاح أبيهما، فصعد العباس المنبر ودعا، وكان من دعائه: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث.

* مراعاة المصلحة ودرء المفسدة التي قد تترتب على الاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم، فقد أراد عمر أن يتوسل بالعباس ولم يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم مباشرة حتى لا يحدث في الأمة ما يزعزع إيمان بعض حديثي العهد بالإسلام فيما لو دعا وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم ينزل الغيث، بخلاف التوسل والاستغاثة بالعباس.

* بيان مشروعية الاستغاثة بالمفضول مع وجود الفاضل، فقد كان في الصحابة من هو خير من العباس ومن آل بيت النبوة وهو سيدنا علي رضي الله عنه.

رد الشبهة الخامسة:

وهي قطع سيدنا عمر شجرة الرضوان.

وهذه الشجرة التي تمت تحتها البيعة في الحديبية عندما ذهب عليه الصلاة والسلام عام ستة للهجرة مع أصحابه لأداء مناسك العمرة فمنعتهم قريش، فأرسل سيدنا عثمان ليتفاوض مع مشركي قريش، ويبين لهم أنا لم نأت لحربهم، فأشيع في المسلمين أن عثمان قتل، فانحاز النبي صلى الله عليه وسلم إلى شجرة هناك وطلب من الصحابة أن يبايعوه على الموت، فأنزل الله في ذلك قرآنا(لقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِم مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَل السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) الفتح (18) 000الخ

قلت: إن سيدنا عمر رضي الله عنه لم يقطع هذه الشجرة (أعني شجرة الرضوان) بعينها، ولا قطعها دفعا للتبرك مع ما علمناه من سيرته أنه كان حريصا على الآثار النبوية والتبرك بها واحترامها، فقد طلب من السيدة عائشة أن يدفن بجوار صاحبيه، سيدنا رسول الله وأبي بكر، وأنه طلب العنَزَة التي كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي بكر، ومحافظته على خاتم رسول الله وغير ذلك، ولكن الدافع الذي دفعه لقطع الشجرة لأنها لم تكن معروفة على وجه التحديد، وإنما كان قطعه للشجرة التي كانوا يتبركون بها، فإذا كان الأمر كذلك فما الداعي للذهاب إلى شجرة من شجر الصحراء ليس لها أي قيمة دينية أو تاريخية.

ويؤيد ما قلناه ما رواه البخاري بسنده إلى حزن بن أبي وهب المخزومي جد سعيد بن المسيب أنه قال: َقَدْ رَأَيْتُ الشَّجَرَةَ ثُمَّ أَتَيْتُهَا بَعْدُ فَلم أَعْرِفْهَا [46].

ولأبي ذر قال: أنسيتها بعد، وعن طارق البجلب قال: انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون قلت: ما هذا المسجد؟؟ قالوا: الشجرة حيث بايع صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان، فحدثت سعيد بن المسيب فقال: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، قال: فلما خرجنا من العام القابل نسيناها فلم نقدر على تحديدها.

قال النووي قَال الْعُلماء : سَبَب خَفَائِهَا أَلا يُفْتَتَن النَّاس بِهَا لما جَرَى تَحْتهَا مِنْ الْخَيْر وَنُزُول الرِّضْوَان وَالسَّكِينَة ، وَغَيْر ذَلِكَ، فَلوْ بَقِيَتْ ظَاهِرَة مَعْلُومَة لخِيفَ تَعْظِيم الأَعْرَاب وَالْجُهَّال إِيَّاهَا وَعِبَادَتهمْ لَهَا ، فَكَانَ خَفَاؤُهَا رَحْمَة مِنْ الله تَعَالى [47] .

هذا خلاصة القول في قطع الشجرة، وأن سيدنا عمر لم يقطع شجرة الرضوان على وجه التحديد، ولم يقصد بذلك منع التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما قطع الشجرة التي كان الناس يصلون تحتها، وخاف عمر على إيمان جهلة الأعراب حديثي العهد بالإسلام.

---

[46] صحيح البخاري – (13 / 63) صحيح مسلم صحيح مسلم – (9 / 418) .

[47] شرح النووي على مسلم – (6 / 332) كتاب الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام.

الباب الثاني
الاستغاثة في كتاب الله

أدلة الاستغاثة من الكتاب العزيز

هناك آيات وردت في كتاب الله تعالى نستطيع أن نستشهد بها في هذا المجال، من ذلك:

* قوله تعالى: (وَلما جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لما مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلى الذِينَ كَفَرُوا فَلما جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلعْنَةُ اللهِ عَلى الْكَافِرِين) سورة البقرة (89) .

قال المفسرون: نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقتادة، والمعنى يطلبون من الله تعالى أن ينصرهم به على المشركين ، كما روى السدي أنهم كانوا إذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين أخرجوا التوراة ووضعوا أيديهم على موضع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: اللهم إنا نسألك بحق نبيك الذي وعدتنا أن تبعثه في آخر الزمان أن تنصرنا اليوم على عدوّنا فينصرون[48] سملخ.

قلت: نزلت هذه الآية في يهود إذ كانوا يستفتحون على المشركين من العرب قبيل نزول القرآن، فالسين هنا للطلب، أي كانوا يطلبون الفتح وهو النصر على الأعداء، بذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أي يقولون: اللهم إنا نسألك بجاه النبي الأمي الذي وعدتنا أن تبعثه آخر الزمن أن تنصرنا على أعدائنا.

ويستفاد من هذا الآية أمران:

---

[48] تفسير الطبري 411/1، والقرطبي 26/2، والبغوي 93/1، والألوسي 320/1، ودلائل النبوة للبيهقي 356/6 .

الأول: مشروعية الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم قبل وجوده وفي حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

الثاني: ترك الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم جحود لهذه النعمة العظمى التي امتن الله تعالى بها على هذه الأمة.

* قوله تعالى: (وَقَال لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آَيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آَلُ مُوسَى وَآَلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الملائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآَيَةً لكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) سورة البقرة آية(248).

إن التابوت كان عند بني إسرائيل إذا اختلفوا في شيء تحاكموا إليه، فيتكلم ويحكم بينهم، وإذا حضروا قتالا قدموه بين أيديهم يستنصرون به على عدوهم فينصرهم الله، وكان الذي في التابوت عصا موسى وعمامة هارون ورضاض من الألواح التي كتبت فيه التوراة، فكان يهود يعظمونه لوجود بقايا من آثار أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام، ويجعلونه وسيلة فيما بينهم وبين الله تعالى لإنزال النصر، أي وكأن لسان الحال منهم يقول: اللهم إنا نعظم أنبياءك ورسلك، وهذه آثارهم نستنصر بها على عدونا فانصرنا، فينصرهم الله تعالى.

فهذه الآية دلت بمعناها على مشروعية طلب المدد من الأنبياء الذين انتقلوا إلى الدار الآخرة، ولم تفرق بين حياة النبي وموته في الاستغاثة بهم.

* قوله تعالى: (وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) سورة التوبة آية (99) .

جاءت هذه الآية المباركة في مقام المدح لبعض قبائل الأعراب، بأنهم كانوا يتقربون إلى الله تعالى بإخراج زكاة أموالهم راجين بركة دعائه عليه الصلاة والسلام، فأكد القرآن هذه الحقيقة بقوله: ألا إنها قربة لهم، والصلوات جمع صلاة وهي لغة مطلق الدعاء، فلولا أن في دعائه عليه الصلاة والسلام من الخصوصية الزائدة على دعاء غيره من البركة والاستجابة ورضوان الله تعالى وغير ذلك من أصناف المدد لما ذكرها الله في كتابه في معرض مدحه أقواما، فاستفدنا من هذه الآية أمرين هما:

الأول: مشروعية طلب المدد من النبي صلى الله عليه وسلم.

والثاني: ترغيب الله للمؤمنين بأن يقتدوا بهؤلاء الأعراب باستمطار المدد منه عليه الصلاة والسلام.

* قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) سورة النساء آية(64) .

قال ابن كثير: يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم، ولهذا قال: { لوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا }وقد ذكر جماعة منهم: الشيخ أبو نصر بن الصباغ في كتابه "الشامل" الحكاية

المشهورة عن العُتْبي، قال: كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: { وَلوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلموا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا } وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يا خيرَ من دُفنَت بالقاع أعظُمُه فطاب منْ طيبهنّ القاعُ والأكَمُ
نَفْسي الفداءُ لقبرٍ أنت ساكنُه فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: يا عُتْبى، الحقْ الأعرابيّ فبشره أن الله قد غفر له[49].

قلت: إن في هذه الآية المحكمة والتي لم تنسخ إرشاد من الله تعالى لعباده المؤمنين الذين غلبتهم أنفسهم فوقعوا بالمحظور الشرعي إذا أرادوا مغفرة الذنب، وهو أن يقلع العبد عن المعصية ويستغفر الله تعالى، فإن كان منزله قريبا من المدينة، أو كتب الله له نصيبا بزيارة النبي عليه الصلاة والسلام، فليجعله وسيلة بينه وبين ربه في قبول توبته، فيسلم عليه ويطلب منه الاستغفار كما رأينا من الأعرابي، فيكون الجواب من الله تعالى (لوجدوا الله توابا رحيما) .

[49] تفسير ابن كثير تفسير ابن كثير - (2 / 348).

فذكر الله تعالى مزية الذهاب إليه صلى الله عليه وسلم، وما بها من الخير والبركات، ولو لم يكن لها مزية زائدة على الاستغفار والتوبة في الأوطان لما ذكرها الله تعالى في قرآن يتلى على مر الدهر، ولم يكلفهم عناء هذا السفر الطويل.

أنكر المانعون للاستغاثة قصة العتبي تعصبا منهم، وأنكروا على ابن كثير إيرادها في تفسيره، وتكلموا بما لا فائدة من إعادته، لذا سأتكلم على هذه الآية ببعض تفصيل:

*إن المانع للاستغاثة يلزمه الدليل لمنع ذلك، ولا مانع عندهم إلا ما قدمته من شبهاتهم، وتبين كيف نقضتها، فهم ينفون بدون دليل، ونحن أثبتنا بدليل، فالمثبت مقدم على المنفي.

* بعد ثبوت الحكم قلنا: إن كلمة (جاءوك) تفيد مشروعية الزيارة واستحبابها، لأن هذه الكلمة تفيد الحركة الجسمية، لذلك سن رسول الله صلى الله عله وسلم زيارته في المدينة ورغب فيها، ورتب على ذلك الأجر الجزيل.

* إن هذه الآية تفيد التعظيم والتفخيم لجناب المصطفى صلى الله عليه وسلم، لأن العظيم هو الذي يقصد بالزيارة من بعيد لقضاء الحوائج، ودليلنا على ذلك أن الآية ذكرت أولا كلمة (جاءوك) وفيها كاف الخطاب، ثم عدلت عن ذلك إلى طريقة الالتفات، وهو قوله: واستغفر لهم الرسول، فلم يقل واستغفرت لهم، ولم يقل: واستغفر لهم محمد، بل جاءت بقول: (واستغفر لهم الرسول) وما ذاك إلا تعظيما وتفخيما لشأن النبي صلى الله عليه وسلم، وتعظيما

لاستغفاره، وتعليما لنا أن استغفار النبي وشفاعته والاستغاثة بـه هـي من الله بمكان فبادروا إليها.

* قوله تعالى: (اذْهَبُـوا بِقَمِيصِـي هَـذَا فَـأَلْقُوهُ عَلـى وَجْـهِ أَبِـي يَـأْتِ بَصِيرًا) سورة يوسف آية (93).

قصة سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام مشهورة، أمـا الشـاهد في هذه الآية أن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أرسـل قميصـه مـع إخوتـه، وأمـرهم بإلقائـه علـى وجـه سـيدنا يعقـوب عليـه الصـلاة والسلام، وقال لهم: إن فعلتم ذلك يرتد أبـي بصـيرا بعـد أن حجـب طولُ البكاء عينيه من الإبصار، ولما ألقي القميص علـى وجـه سـيدنا يعقوب عاد له الإبصار فعلا، وهذا من أنواع المدد، وكان بإمكانـه أن يدعو لوالده فيرتد بصيرا، لكن هذا تعليم إلهي لنـا أن نسـتمطر المـدد من آثار الأنبياء والصالحين، كما سرى مدد يوسف لوالـده وكلاهمـا نبي مرسل، فنحن أولى بالمدد منهما عليه الصلاة والسلام.

الباب الثالث
المدد في السنة النبوية

هنالك أدلة كثيرة في السنة النبوية تدل على مشروعية الطلب من البشر والاستغاثة بهم، ولا فرق في ذلك بين حي وميت، أو نبي وغير نبي، وهناك حالات حصلت من الصحابة طلبوا فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمورا لا يقدر عليها إلا الله تعالى، وأمورا طلبها النبي صلى الله عليه وسلم من غيره وتعتبر استغاثة بغير الله تعالى في الاصطلاح اللغوي والشرعي، وسأورد ثلة منها في هذا الفصل إن شاء الله تعالى، وأبدأ بالأدلة الشرعية في السنة القولية:

الدليل الأول:

روى البخاري بسنده الى عبد الله بن عمر إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَبْلُغَ الْعَرَقُ نِصْفَ الأُذُنِ فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ **اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ ثُمَّ بِمُوسَى ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم** [50]

الدليل الثاني:

روى البيهقي عن أبي موسى ، قال : سألت ابن عباس : أي الصدقة أفضل ؟ قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: اسق الماء ثم قال: ألم تر إلى أهل النار إذا **استغاثوا** بأهل الجنة قالوا: أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله [51] .

الدليل الثالث:

روى الطبراني في الكبير عَنْ عُتْبَةَ بن غَزْوَانَ، عَنْ نَبِيِّ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم قَال:"إِذَا أَضَل أَحَدُكُمْ شَيْئًا أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْنًا وَهُوَ

---

[50] صحيح البخاري (325/5) باب من سأل الناس تكثرا .

[51] المعجم الأوسط للطبراني – (ج 3 / ص 22) .

بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ، فَلْيَقُلْ: **يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي، يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي**، فَإِنَّ لِلهِ عِبَادًا لا نَرَاهُمْ[52] وَقَدْ جَرَّبَ ذَلِكَ .

الدليل الرابع:

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: **أعينوا عباد الله**"[53] .

الدليل الخامس:

عن عبد الله بن مسعود أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: **يا عباد الله احبسوا، يا عباد الله احبسوا**، فإن لله حاصراً في الأرض سيحبسه[54] ".

الدليل السادس:

أخرج أَحْمَد والطبراني بِإِسْنَادٍ حَسَن عَنْ الْحَارِث بْن حَسَّان الْبَكْرِيّ قَال " خَرَجْت أَنَا وَالْعَلاء بْن الْحَضْرَمِيّ إِلى رَسُول الله صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلم الْحَدِيث وَفِيهِ فَقُلْت : **أَعُوذ بِاَللَّهِ وَبِرَسُولِهِ** أَنْ أَكُون كَوَافِدِ عَادٍ ، قَال: وَمَا وَافِد عَادٍ ؟ وَهُوَ أَعْلم بِالْحَدِيثِ وَلَكِنَّهُ يَسْتَطْعِمهُ، فَقُلْت: إِنَّ عَادًا قَحَطُوا ، فَبَعَثُوا قَيْل بْن عَنْز إِلى مُعَاوِيَة بْن بَكْر بِمَكَّة يَسْتَسْقِي لَهُمْ ، فَمَكَثَ شَهْرًا فِي ضِيَافَته تُغَنِّيه الْجَرَادَتَان ، فَلما كَانَ بَعْد شَهْر خَرَجَ لَهُمْ فَاسْتَسْقَى لَهُمْ، فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَات

---

[52] المعجم الكبير للطبراني – (ج 12 / ص 44) .

[53] مصنف ابن أبي شيبة – (ج 7 / ص 116) .

[54] المعجم الكبير للطبراني – (ج 9 / ص 68) .

فَاخْتَارَ السَّوْدَاء مِنْهَا ، فَنُودِيَ : خُذْهَا رَمَادًا رِمْدِدًا ، لا تُبْقِ مِنْ عَادٍ أَحَدًا [55] .

ومعنى (أعوذ) أي ألتجئ وأستغيث وأستجير.

وهذه ثلة من استغاثات الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم، في أمور دينهم ودنياهم:

أبو هريرة يشكو النسيان:

روى البخاري بسنده إلى أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: قُلْتُ: يَا رَسُول اللهِ إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنْسَاهُ قَال: ابْسُطْ رِدَاءَكَ فَبَسَطْتُهُ قَال: فَغَرَفَ بِيَدَيْهِ ثُمَّ قَال ضُمَّهُ فَضَمَمْتُهُ فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَهُ [56] .

قلت عندما تكلمت على القسمة قبل صفحات: أن رواية من هذا الحديث جاءت في باب العلم، وأن العطاء من عند الله تعالى وأن القاسم لهذا العطاء هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء هنا في هذا الحديث أن سيدنا أبا هريرة رضي الله عنه شكا إلى النبي عليه الصلاة والسلام كثرة نسيانه للحديث، فساعفه عليه الصلاة والسلام وأمره بفعل شيء مما يشاكل الواقع في الحس، فإن المرء إذا أراد شيئا نشره، فحثا له عليه الصلاة والسلام من الهواء بيديه الشريفتين حثيات حتى وكأنه ملأ له ثوبه من شيء تراه العين، ثم أمره بضمه فضمه حتى لا يقع شيء من الثوب شيء فيما يبدو للناظر، فجاءه المدد بهذه الصيغة، وأخذ أبو هريرة قسمته من عند

---

[55] مسند أحمد – (32 / ص145) من مسن الحارث بن حسان .

[56] صحيح البخاري – (1 / 156) باب حفظ العلم، ورواه الترمذي في السنن (12 / 323) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ قَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم، فكـان أكثـر الصـحابة روايـة للحديث.

المدد النبوي ينقل أفرادا من الكفر إلى الإيمان:

* روى غير واحد عن شيبة بن عثمان الحجبي أنه كـان يحـدث عـن إسلامه وما أراد الله به من الخير ويقول: ما رأيت أعجب مما كنـا فيـه من لزوم ما مضى عليه آباؤنا من الضلالات، يقول لما كان عام الفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنـوة قلـت: أسـير مـع قريش إلى هوازن بحنين فعسى إن اختلطوا أن أصيب مـن محمـد غـرة فأثأر منه فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها، وأقول: لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمدا ما تبعته أبدا، وكنـت مرصـدا لمـا خرجت له لا يـزداد الأمـر في نفسـي إلا قـوة، فلمـا اخـتلط النـاس اقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلم عـن بغلتـه وأصـلت السـيف فدنوت أريد ما أريد منه ورفعت سيفي حتى كدت أسـوره، فرفـع لى شواظ من نار كالبرق كاد يمحشنى [57] فوضعت يـدي علـى بصـري خوفاً عليه والتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسـلم فنـاداني: يـا شيب ادن فدنوت فمسح صدري ثم قال: اللهم أعـذه مـن الشـيطان قال: فو الله لهو كان ساعتئذ أحب إلى من سمعـي وبصـري ونفسـي، وأذهب الله ما كان في ثـم قـال: ادن فقاتـل فتقـدمت أمامـه أضـرب بسيفي، الله يعلم أنى أحب أن أقيه بنفسي كل شيء، ولو لقيت تلـك

[57] أي يحرقني .

الساعة أبى لو كان حيا لأوقعت بـه السـيف، فجعلـت ألزمـه فـيمن لزمه حتى تراجع المسلمون وكروا كـرة رجـل واحـد، وقربـت بغلـة رسول الله صلى الله عليه وسـلم فاسـتوى عليهـا، فخـرج في أثـرهم حتى تفرقوا في كل وجه، ورجع إلى معسكره فدخل خبـاءه فـدخلت عليه ما دخل عليه غيري حبا لرؤية وجهه وسرورا به فقال: يا شـيب الذي أراد الله بك خير مما أردت بنفسك ثم حدثني بكل ما أضـمرت في نفسي مما لم أكن أذكره لأحد قط قال: فقلت: فأنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ثم قلت: اسـتغفر لـي فقـال: غفـر الله لـك سمـ بر.

* ومن ذلك ما أورده ابن هشام قال: حدثني يعنى بعض أهل العلم أن فضالة بن عمير بن الملوح يعنى الليـث أراد قتـل الـنبي صـلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منـه قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضالة؟" قال: نعم فضالة يـا رسـول الله، قال: "ماذا كنت تحدث به نفسـك ؟ قـال: لا شـيء، كنـت أذكـر الله قال: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثـم قـال: "اسـتغفر الله" ثـم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقـول: والله مـا رفـع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلى منه[58] بر.

* ومن ذلك ما وقع لأبي محذورة في فـتح مكـة فقـد أمـر الـنبي ﷺ بلالا أن يؤذن فصعد بـلال علـى ظهـر الكعبـة وأذن، فصـار بعـض

---

[58] السيرة الحلبية (127/3) الطبراني في الكبير (298/7) والبيهقي في الدلائل (145/5) .

[59] السيرة الحلبية (118/3) السيرة النبوية لابن كثير (584/3) الروض الأنف فتح مكة باب ما جاء في إسلام فضالة، سيرة ابن هشام كيف اسلم فضالة.

قريش يستهزئون ويحكون صوت بلال غيظاً، وكان من جملتهم أبو محذورة رضي الله عنه، وكان من أحسنهم صوتاً، فلما رفع صوته بالأذان مستهزئاً سمعه رسول الله ، فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن أنه مقتول، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده الشريفة، قال: فامتلأ قلبي والله إيماناً ويقيناً، فعلمت أنه رسول الله، فألقى عليه الأذان وعلمه إياه، وأمره أن يؤذن لأهل مكة [60].

* ومن ذلك ما رواه مسلم عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَال: كُنْتُ فِي المسْجِدِ فَدَخَل رَجُلٌ يُصَلِّي فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَل آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَلما قَضَيْنَا الصلاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلى رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، وَدَخَل آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم فَقَرَأَا فَحَسَّنَ النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم شَأْنَهُمَا، فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنْ التَّكْذِيبِ وَلا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلما رَأَى رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلى اللهِ عَزَّ وَجَل فَرَقًا فَقَال لِي: يَا أُبَيُّ أُرْسِل إِلَيَّ أَنْ اقْرَأْ الْقُرْآنَ عَلى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ: أَنْ هَوِّنْ عَلى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلى حَرْفَيْنِ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ: أَنْ هَوِّنْ عَلى أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ عَلى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا

[60] السيرة الحلبية (127/3) الطبراني في الكبير (298/7) والهيثمي في مجمع الزوائد (184/6) وغيرهم .

فَقُلْتُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لأمَّتِي اللـهُمَّ اغْفِـرْ لأمَّتِـي وَأَخَّـرْتُ الثَّالِثَـةَ لِيَـوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم [61].

هذه أحاديث بعضها في الصحيح أن نفراً مـن قـريش همـوا بقتـل النبي صلى الله عليه وسـلم، فـأعلم الله رسـوله بـذلك فمسـح علـى صدورهم بيده المباركة، فأبدل الله مكان الكفر إيمانا، ومكـان الـبغض للنبي صلى الله عليه وسلم محبة تزيد على محبة النفس والولـد، فكـان هذا النقل مفاجئا بمسحة اليد الشريفة، ومثل ذلك حصـل للصـحابي الجليل أبي بن كعب رضي الله عنه، حيث دخل المسجد النبوي رجل للصلاة فسمعه أبي يقرأ القرآن في صلاته بغـير القـراءة الـتي سمعهـا من النبي صلى الله عليه وسلم، ثم دخـل رجـل آخـر فصـلى بقـراءة أخرى أنكرها عليه، فلما قضيا الصلاة ذهب بهم إلى الـنبي صـلى الله عليه وسلم ظنا منه أن النبي سيعاقبهما علـى مـا غـيرا في كتـاب الله، فلما سمع منهم النبي صلى الله عليه وسلم قـال: هكـذا أنـزل علـي، فتحركت نزغة الشيطان في نفس أبي رضي الله عنـه، وحصـل عنـده من التكذيب برسالة النبي صلى الله عليه وسلم أشـد مـن تكذيبـه في جاهليته قبل الإسلام، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم مـا فعـل الشيطان بإيمان أبي ضربه في صـدره بيـده الكريمـة، فـذهب الشـيطان لحينه وذهبت وساوسه معه، فعاد الإيمـان غضـاً طريـا بهـذة الضـربة اللطيفة، وجاء المدد النبوي بغتة بحيث أصـبح كعـب في حالـة إيمانيـة وكأنه ينظر إلى الله تعالى، فرأى ما حصل له من تكـذيب الـنبي صـلى

[61] صحيح مسلم (256/4) فضائل القرآن .

الله عليه وسلم، فاعترته حالة خوف من الله تعالى شديدة حتى تصبب منها الجسم عرقا، فلما أصبح أبي بهذه الحالة أصبح يستوعب ما يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره عليه الصلاة والسلام حينها أن تعدد القراءات هي بطلب من النبي طلبها من ربه ليخفف عن الأمة، لأن ألسنة العرب (أي لهجاتها كثيرة).

فهذا مدد نبوي نقل أفرادا كانوا في قمة الكفر والتكذيب إلى قمة الإيمان والتصديق بمسحة يد منه عليه الصلاة والسلام على صدورهم.

تبديل الأخلاق:

* روى مسلم وغيره عن أُمَّ سَلمةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم أَنَّها لما قَدِمَتْ المدِينَةَ بعد استشهاد زوجها أبي سلمة رضي الله عنه ووَضَعْتُ زَيْنَبَ قالت: جَاءَنِي النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم فَخَطَبَنِي فَقُلْتُ: مَا مِثْلِي ينكح أَمَّا أَنا فَلا وَلدَ فِيَّ وَأَنا غَيُورٌ وَذَاتُ عِيَالٍ فَقَال: أَنا أَكْبَرُ مِنْكِ وَأَمَّا الْغَيْرَةُ فَيُذْهِبُهَا اللهُ عَزَّ وَجَل، وَأَمَّا الْعِيَالُ فَإِلى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَتَزَوَّجَهَا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت في النساء كأنها ليست منهن، لا تجد ما يجدن من الغيرة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ برأيها أحيانا[62].

* ومن ذلك ما رواه أبو نعيم في دلائل النبوة عن أم اسحق رضي الله عنها قالت: هاجرت مع أخي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخي: نسيت نفقتي بمكة فرجع ليأخذها فقتله زوجي،

---

[62] رواه مسلم (475/4) باب ما يقال عند المصيبة، وأحمد من مسند أم سلمة، والبيهقي في الدلائل(464/3).

فقدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: قتل أخي، فأخذ كفا من ماء فنضح بها وجهي، فكانت تصيبها المصيبة فترى الدموع في عينيها ولا تسيل على خدها [63].

* وأخرج الطبراني عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: كَانَتِ امْرَأَةٌ تُرَافِثُ الرِّجَال، وَكَانَتْ بَذِيئَةً، فَمَرَّتْ بِالنَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم وَهُوَ يَأْكُلُ ثَرِيدًا عَلى طَرَيَانٍ، قَالتْ: انْظُرُوا إِلَيْهِ يَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ، وَيَأْكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، فَقَال النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم:"وَأَيُّ عَبْدٍ أَعْبَدُ مِنِّي؟"، قَالتْ: وَيَأْكُلُ وَلا يُطْعِمُنِي، قَال:"فَكُلِي"، قَالتْ: نَاوِلْنِي يَدَكَ، فَنَاوَلَهَا، قَالتْ: أَطْعِمْنِي مِمَّا فِي فِيكَ، فَأَعْطَاهَا، فَأَكَلتْ، فَغَلَبَهَا الْحَيَاءُ، فَلم تُرَافِثْ أَحَدًا حَتَّى مَاتَتْ[64] .

في الخبر الأول والذي يرويه مسلم في صحيحه عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكيف تزوجها عليه الصلاة والسلام، قالت: أنا امرأة كثيرة الغيرة فخشيت أم سلمة أنها بهذه الغيرة قد تسيء الأدب معه عليه الصلاة والسلام، والغيرة طبع في النساء، لكنها تتفاوت بين امرأة وأخرى، فلما رأى عليه الصلاة والسلام أدبها وأنها لم ترفض الزواج تكبرا عالجها صلى الله عليه وسلم، وذاك بقوله: أما الغيرة فيذهبها الله ، فلما تزوجت أصبحت في النساء وكأنها ليست منهن حيث أنها لا تجد ما يجدن من الغيرة، فتبدلت أخلاقها نحو الأفضل، ورجح عقلها حتى كان عليه الصلاة

---

[63] دلائل النبوة (467/2) .

[64] المعجم الكبير (200/8) والشفا (274/1) والمرافثة كلمة جامعة لما يريده الرجل من المرأة .

والسلام يستشيرها ببعض الأمور المهمة ويأخذ برأيها، كما حصل في الحديبية.

ومثل ذلك في الرواية الثانية، فقد كانت أم إسحاق كثيرة الحزن على مقتل أخيها، فلما شكت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم نضح في وجهها كفا من ماء بيده المباركة، فانتقل المدد النبوي بهذه النضحة إلى أم إسحاق، فصارت لا تجد ما تجده النساء من الحزن الكبير على المصيبة، فكانت الدموع في عينيها ولا تسيل على خديها.

وأما الرواية الثالثة تفيد انتقال شيء من خلق الحياء الذي كان في باطنه عليه الصلاة والسلام إلى تلك المرأة، ومعلوم لدينا أنه يوجد في بعض النساء ممن اعتادت الخلطة مع الرجال ومحادثتهم قلة الحياء، وهذه المرأة من هذا النوع، فقد كانت بمخالطتها للرجال قليلة الحياء، حتى أنها كانت ترافثهم، والمرافثة هي كلمة جامعة لما يريده الرجل من امرأته، وإذا وصل الأمر إلى تلك الحالة تكون في أقل درجات الحياء إن لم تعدمه بالكلية، فلما أكلت اللقمة انتقل خلق الحياء إليها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصارت من أشد النساء حياء، فلم تكلم رجلا حتى ماتت.

زيادة القوة الجسمية ودوامها:

روى غير واحد عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بعض الصحابة سأله: ما اسمك؟ قال: قد سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة، قلت: ولم سماك سفينة ؟ قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه، فثقل عليهم متاعهم،

فقال لي رسول الله : « ابسط كساءك » فبسطته، فجعلوا فيه متاعهم، فحملوه علي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احمل فإنما أنت سفينة » فلو حملت من يومئذ وقر بعير، أو بعيرين، أو ثلاثة، أو أربعة، أو خمسة، أو ستة، أو سبعة ما ثقل علي [65].

هذه الرواية عن سيدنا سفينة رضي الله عنه، واسمه مهران وكنيته أبو عبد الرحمن كان مولى لأم سلمة رضي الله عنها، فقد كان في أحد الغزوات مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه، ولم يكن لديهم من الإبل ما يكفي لحمل جميع متاعهم، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم ببسط كساء له، فوضع الأصحاب فيه ما زاد من متاعهم، ثم أمره بطيه بما فيه وقال: احمل ما أنت إلا سفينة، فسرى إليه مدد النبوة مع لفظة(سفينة) فأصبح اسما على مسمى، يحمل على ظهره حملا لا يستطيعه قطيع من الإبل، ودامت له تلك القوة حتى مات رضي الله عنه.

إدامة النضارة

* روى ابن عبد البر أن النبي صلى الله عليه وسلم نضح في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة ماء فما كان يعرف في وجه امرأة من الجمال ما كان في وجهها.

---

[65] رواه أحمد (321/5) والبيهقي في الدلائل (47/6) والحاكم (377/5) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

*ودخلت زينب هذه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل فنضح في وجهها ماء فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وعجزت، وكانت من أفقه نساء زمانها.

لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة أم سلمة كان لها أولاد من زوجها القديم أبو سلمة رضي الله عنه، ومن هؤلاء زينب، فلما انتقلت أم سلمة إلى بيتها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقل أولادها معها، وهذا شرط كان عند الزواج كما رأينا قبل صفحات تحت عنوان (تبديل الأخلاق) وابن المرأة الذي يكون عندها ولها زوج آخر يسمى ربيبا، فزينب كانت تسمى ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحكمهم حكم الأبناء في حرمة الزواج، فهي محرمة على النبي صلى الله عليه وسلم كبناته، فحدثت مرة أن زينب هذه كانت صغيرة دون سن التمييز، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يغتسل، ولم يكن له عليه الصلاة والسلام حمام خاص كما هو حالنا اليوم، بل كان يغتسل في حجرته التي ينام فيها، وكان لكل امرأة من نسائه حجرة، فحتى لا تراه زينب وهو عار من اللباس أخذ من الإناء الذي كان يغتسل منه كفا من ماء ورمى به وجه زينب فدخل الماء عينيها فأغمضت زينب عينيها حتى يخرج منهما الماء، وولت من عنده صلى الله عليه وسلم، فانتقل المدد النبوي بهذه النضحة من الماء إلى زينب، فضاء وجهها، وصارت من أجمل نساء الدنيا، وزيادة على ذلك كمل عقلها فصارت من أعقل نساء الدنيا، وبقي الحال إلى أن كبرت وصارت عجوزا ولم يزل ماء الشباب ونضارته إلى أن ماتت رضي الله عنها.

الأعمى يستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم

روى غير واحد عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ الأنصاري رضي الله عنه أَنَّ رَجُلا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم فَقَال: ادْعُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَنِي قَال: إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لكَ وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَاكَ فَهُوَ خَيْرٌ فَقَال: ادْعُهُ فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ فَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ؛ اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ (يَا مُحَمَّدُ) إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضِي لِي اللهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ قال عثمان: فو الله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل كأن لم يكن به ضرر [66].

هذا الحديث لو رواه أكثر من صحابي لكان حديثا متواترا لكثرة رواته، لكنهم لم يروه إلا عن صحابي واحد وهو سيدنا عثمان بن حنيف رضي الله عنه، ومع ذلك فهو حديث صحيح الإسناد صالح للاستشهاد في هذا الباب، وهو صريح في جواز الاستغاثة، وخلاصة الحديث أن رجلا أعمى أصيب بفقد بصره، وشق عليه ذلك فلم يجد بدا من الاستغاثة بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم، فأتاه فقال: يا

---

[66] رواه احمد في مسنده (109/35) ابن ماجة في سننه (296/4) باب صلاة الحاجة وابن خزيمة في صحيحه (446/4) جماع أبواب التطوع، والبيهقي في السنن الكبرى (196/6) والطبراني في الكبير (18/9) ورواه في الصغير (183/1) وقال بعد ذكر طرقه: والحديث صحيح والبيهقي في الدلائل (252/6) جماع أبواب دعوات نبينا ورواه عبد بن حميد في مسنده (431/1) ورواه الحاكم في المستدرك (526/1) باب صلاة الحاجة قال الذهبي: صحيح ورواه الترمذي في كتاب الدعوات وقال: حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذ الوجه ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة باب من اسمه عثمان والهيثمي في مجمع الزوائد (279/2) والمنذري في الترغيب والترهيب باب صلاة الحاجة وأورده ابن كثير في تفسيره(570/1) وفي البداية والنهاية (298/6)

رسول الله لقد شق علي ذهاب بصري وليس لي قائد يقودني إلى المسجد فأصلي معك، فادعوا الله أن يجلي لي عن بصري، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلم الأمة درسا من خلال هذه الحادثة، وهو الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعله وسيلة فيما بين العبد وبين ربه، لأن النبي سينتقل إلى الرفيق الأعلى، فمن للمسلمين الذين سيأتون بعد؟ فجاء الدرس النبوي لمن سيأتي بعد من أمته عليه الصلاة والسلام من خلال هذه الحادثة، وهو أن العبد إذا أراد حاجة من حوائجه الدنيوية أو الأخروية يتوضأ ويحسن الوضوء ثم يتقرب إلى الله بصلاة ركعتين يجعلهما مقدمة لطلبه، ثم يجعل النبي صلى الله عليه وسلم وسيلة فيما بينه وبين ربه، فيقول: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، ثم يرفع صوته مستغيثا بالنبي صلى الله عليه وسلم قائلا: يا محمد، أو يا نبي الله، أو يا رسول الله، وغير ذلك من ألقاب الرفعة التي تليق بجاهه صلى الله عليه وسلم، ثم يذكر حاجته، ثم يصلي على النبي في نهاية الدعاء، فلا بد أنه سيرى الإجابة قريبة إن شاء الله، كما رآها الأعمى، حيث قال عثمان: فو الله ما تفرقنا من عند رسول الله ولا طال بنا الحديث، إلا وقد أتى الأعمى مبصرا قد رد الله عليه ما فقد من بصره.

فهذا الحديث قد نص على أمور:

الأول: جواز بل مشروعية التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل أمر.

الثاني: مشروعية الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم في الدعاء وعند الكرب.

الثالث: تعليم الناس هذا المبدأ، ولا نعلمهم الاقتصار على الدعاء فقط دون التوسل والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم، فمن فعل ذلك فقد خالف السنة.

الرابع: يحسن التوسل والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم بعد لحوقه بالرفيق الأعلى، وليس هذا الأمر مقصورا على حياته فقط، وشاهد ذلك من السنة هو حديث عثمان بن حنيف راوي هذا الحديث، فقد روى البيهقي وأبو نعيم والطبراني وغيرهم عن عثمان بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجته، وكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكى إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتقضي لي حاجتي، واذكر حاجتك، ثم رح إلي حتى أروح معك، فانطلق الرجل وصنع ذلك، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه، فجاء البواب، فأخذ بيده فأدخله على عثمان، فأجلسه معه على الطنفسة[67] فقال: انظر ما كانت لك من حاجة، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته، فقال

[67] الطنفسة: هو بساط أو حصير يصنع من جريد النخل.

عثمان بن حنيف: ما كلمته ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أو تصبر ؟ »، فقال: يا رسول الله ليس لي قائد، وقد شق علي ذهاب بصري، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم:"ائْتِ الميضَأَةَ فَتَوَضَّأْ، ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ ادْعُ بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ"، قَال ابْنُ حُنَيْفٍ: فَوَ اللهِ مَا تَفَرَّقْنَا ولا وَطَال بنا الْحَدِيثُ حَتَّى دَخَل عَلَيْنَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لم يَكُنْ بِهِ ضُرٌّ قَطُّ[68] .

فهذا شاهد على أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد من هذه الواقعة تعليم أمته درسا في العبودية وهو الدعاء، فقد كان لرجل حاجة عند الخليفة عثمان رضي الله عنه فذهب إلى بيته مرات فلم يؤذن له، فلقي عثمان بن حنيف فشكا له ذلك، وأراد أن يجعله وسيلة بينه وبين الخليفة، لكن عثمان تعلم درسا من النبي صلى الله عليه وسلم، فأراد تعليمه للرجل فأمره بالوضوء ثم صلاة ركعتين، ثم يدعو الله تعالى متوسلا برسوله، ثم يستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم، ثم أمره أن يأتيه فيذهب معه إلى الخليفة، فذهب الرجل وعمل ما أمره ثم ذهب إلى الخليفة فوجد البواب ينتظره فأخذ بيده وأدخله على الخليفة، وأجلسه معه على الطنفسة، وقضى حاجته وقال له: كل ما احتجت منا شيئا فائتنا نقضها لك، ثم خرج الرجل فرحا مسرورا، وذهب إلى عثمان بن حنيف ليقدم شكره له على ما قدمه له من معروف، ظنا منه أنه كلم الخليفة من أجله، فقال عثمان:

---

[68] المعجم الصغير للطبراني - (2 / 106) دلائل النبوة للبيهقي - (6 / 354) .

والله ما كلمته فيك، ولكني أردت تعليمك درسا علمناه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر له حديث الأعمى، فهذا الإكرام الذي وجدت من الخليفة إنما هو ببركات الدعاء والتوسل والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم، لا بتكليمي الخليفة فيك.

قال المانعون للاستغاثة: إن هذا الحديث لا يصح الاستشهاد به على جواز الاستغاثة لأن الأعمى توسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن دعاء النبي مستجاب، قلت: إن الأعمى لم يتوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما توسل بذات النبي وذلك بقوله: اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، ولم يدع له النبي صلى الله عليه وسلم، بل أمره بالدعاء لنفسه، وهذا ما يفيده متن الحديث، بل جاء في الحديث الاستغاثة صراحة بقوله: يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي.

أسماء تشكو وجعها للنبي صلى الله عليه وسلم

أخرج البيهقي في الدلائل أن أسماء بنت أبي بكر أصابها ورم في رأسها ووجهها، وأنها بعثت إلى عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر اذكري وجعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يشفيني، فذكرت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجع أسماء، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل على أسماء فوضع يده على وجهها ورأسها من فوق الثياب فقال: بسم الله أذهب عنها سوءه وفحشه بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك،

بسم الله، صنع ذلك ثلاث مرات فأمرها أن تقول ذلك ، فقالت ثلاثة أيام فذهب الورم شم تر.

الشاهد في الحديث أن أسماء استغاثت بالنبي صلى الله عليه وسلم من وجعها، وعلمها النبي صلى الله عليه وسلم صيغة دعاء تدعو به من جملته توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم.

المدد النبوي لحذيفة :

روى مسلم في صحيحه عن عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَال: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ فَقَال رَجُلٌ: لوْ أَدْرَكْتُ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ فَقَال حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم لَيْلَةَ الأَحْزَابِ وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم أَلا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَسَكَتْنَا فَلم يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ثُمَّ قَال: أَلا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَكَتْنَا فَلم يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَال: أَلا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَسَكَتْنَا فَلم يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ فَقَال: قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، فَلم أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ قَال اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلا تَذْعَرْهُمْ عَليَّ فَلما وَلَيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْل

---

[69] دلائل النبوة (181/6) .

رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم: وَلا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ وَلَوْ رَمَيْتُهُ لأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلما أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلم أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلما أَصْبَحْتُ قَال: قُمْ يَا نَوْمَانُ [70].

وخلاصة الحديث: أن الوقت كان باردا جدا في غزوة الأحزاب، وهبت تلك الليلة ريح شديدة باردة، والظلمة شديدة، والتعب قد أخذ من الصحابة كل مأخذ حيث مرت عليهم مدة شهر لا ينامون تعبا وجوعا وقتالا وخوفا، فنادى النبي صلى الله عليه وسلم في الصحابة: من يأتيني بخبر القوم جعله الله معي في الجنة، وهذه كافية بترغيب الصحابة بامتثال الأمر، لكن الأمر كان على الصحابة أشد مما نتخيل، ثم نادى مرة ثانية وثالثة فلم يجبه أحد، وبعدها جاء دور الأمر المباشر لأحد الجند وكان الأمر لحذيفة بن اليمان، وما منع حذيفة أن يجيب أولا إلا شدة البرد، حيث كان يلبس خلق ثوب لزوجه لا يتجاوز الركبتين، فلما امتثل حذيفة ومشى في حاجة النبي صلى الله عليه وسلم قال: وكأني في حمام أي من شدة الحر، وبقي هكذا حتى عاد من عند القوم، فلما وصل عاد له البرد كما كان أولا، فغطاه النبي صلى الله عليه وسلم بفضل عباءة كان يصلي عليها، فلما أحس حذيفة بالدفء نام حتى أصبح.

---

[70] صحيح مسلم - (9 / 266) السنن الكبرى للبيهقي - (9 / 148) جامع الأصول من أحاديث الرسول - (6 / 55).

روى ابن أبي شيبة عن جعفر بن عمرو قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة نفر إلى أربعة وجوه: رجلا إلى كسرى، ورجلا إلى قيصر، ورجلا إلى المقوقس، وبعث عمرو بن أمية إلى النجاشي، فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم [71] .

هذا لون آخر من المدد النبوي، وهو تعليم صحابته لغات غير عربية، لم يسبق لهم أن تكلموا بها أو تعلموها، فلما أحس النبي صلى الله عليه وسلم بالرحيل أرسل رسائل إلى الملوك الذين من حوله، ورغّب الصحابة بمساعدته في تبليغ هذا الدين الذي أمره الله تعالى بتبليغه فقال له: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) فحث عليه الصلاة والسلام أصحابه وخطب فيهم خطبة، فقد روى الطبراني عَنِ المسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ، قَال: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم عَلى أَصْحَابِهِ، فَقَال:"إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلنَّاسِ كَافَّةً، فَأَدُّوا عَنِّي يَرْحَمْكُمُ اللهُ، وَلا تَخْتَلِفُوا كَمَا اخْتَلفَ الْحَوَارِيُّونَ عَلى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ، فَإِنَّهُ دَعَاهُمْ إِلى مِثْلِ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، فَأَمَّا مَنْ قَرُبَ مَكَانُهُ، فَإِنَّهُ أَجَابَ وَأَسْلم، وَأَمَّا مَنْ بَعُدَ مَكَانُهُ فَكَرِهَهُ، فَقَال أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم: نَحْنُ يَا رَسُول اللهِ نُؤَدِّي عَنْكَ، فابْعَثْنَا حَيْثُ شِئْتَ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم عَبْدَ اللهِ بن حُذَافَةَ إِلى كِسْرَى، وَبَعَثَ سَلِيطَ بن عَمْرٍو إِلى هَوْذَةَ بن

[71] مصنف ابن أبي شيبة - (8 / 461) حديث رقم (36628) .

عَلِيٍّ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ، وَبَعَثَ الْعَلاءَ بن الْحَضْرَمِيِّ إِلى المنْذِرِ بن سَاوَى صَاحِبِ هَجَرَ، وَبَعَثَ عَمْرَو بن الْعَاصِ إِلى جَيْفَرَ وَعَبَّادِ ابْنِي جَلنْدَا مَلِكَيْ عُمَانَ، وَبَعَثَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيَّ إِلى قَيْصَرَ، وَبَعَثَ شُجَاعَ بن وَهْبٍ الأَسَدِيَّ إِلى المنْذِرِ بن الْحَارِثِ بن أَبِي شِمْرٍ الْغَسَّانِيِّ، وَبَعَثَ عَمْرَو بن أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إِلى النَّجَاشِيِّ[72].

فلما وصل الرسل إلى البلدان التي أرسلوا إليها أصبح كل امرئ منهم يتكلم بلغة القوم الذي أرسل إليهم وكأنه واحد منهم، فالذي أرسل إلى فارس أصبح يتكلم بلغة الفرس، والذي أرسل إلى الروم أصبح يتكلم بلغتهم، والذي أرسل إلى المقوقس أصبح يتكلم بلغة القبط، والذي أرسل إلى النجاشي أصبح يتكلم بلغة الحبشة، وهكذا حتى عاد الرسل إلى المدينة.

المدد النبوي ينور على صحابيين طريقهم

روى ابن حبان عَنْ أَنَسٍ أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ وَعباد بن بشر تَحَدَّثَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم لَيْلَةً فِي حَاجَةٍ لَهُمَا حَتَّى ذَهَبَ مِنْ اللَيْلِ سَاعَةٌ وَلَيْلَةٌ شَدِيدَةُ الظُّلمةِ ثُمَّ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم يَنْقَلِبَانِ وَبِيَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عُصَيَّةٌ فَأَضَاءَتْ عَصَا أَحَدِهِمَا لَهُمَا حَتَّى مَشَيَا فِي ضَوْئِهَا حَتَّى إِذَا افْتَرَقَ بِهِمَا الطَّرِيقُ

[72] المعجم الكبير للطبراني – (ج 14 / ص 391) .

أَضَاءَتْ لِلآخَرِ عَصَاهُ فَمَشَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي ضَوْءِ عَصَاهُ حَتَّى بَلَغَ إِلى أَهْلِهِ لخ ﷺ.

ومن ذلك ما رواه ابن عبد البر عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة لصلاة العشاء، وهاجت الظلمة من السماء، وبرقت برقة فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان فقال: "قتادة" قال: نعم يا رسول الله، علمت أن شاهد الصلاة الليلة قليل فأحببت أن أشهدها. فقال له: "إذا انصرفت فأتني" فلما انصرف أعطاه عرجوناً، وقال له: "خذه فسيضيء أمامك عشراً وخلفك عشراً" لخ ﷺ.

المدد النبوي يطيب جسم عتبة

عن أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد قالت: كنا عند عتبة أربع نسوة وأن كل واحدة منهن تريد أن تكون أطيب ريحا من صاحبتها ، وكان عتبة أطيب ريحا منا وكان إذا خرج عرف بريح طيبه ولم يمس طيبا، فسألت عن ذلك فقال: أخذني الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت ذلك إليه فأمرني فقعدت بين يديه وجعلت ثوبي على فرجي، ثم تفل النبي صلى الله عليه وسلم في يده ومسح بها ظهري وبطني فعبق بي هذا الطيب من يومئذ.

هذا لون آخر من ألوان المدد النبوي وخلاصة ذلك أن عتبة بن فرقد أصابه مرض من أنواع التحسس الجلدي، وهو بقع حمراء تظهر

---

[73] مصنف عبد الرزاق - (11 / 280) صحيح ابن حبان - (9 / 49) مسند أحمد (25 / 1) .

[74] الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (1 / 394) .

على الجلد يصاب صاحبها بحكة في جلده إذا استمر على ذلك قد ينزف منه الدم زيادة على ما به من ألم، فشكا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يكشف عن مكان الداء، وهذه عادة الطبيب يرى مكان الداء بعينة حتى يشخصه فيصف الدواء، فلما تعرى عتبة من لباسه جلس ووضع ثوبه على فرجه مخافة أن تكشف عورته، فتقل النبي صلى الله عليه وسلم بيده المباركة ومسح بها جلد عتبة فبرأ من مرضه على الفور، وأصبح مكان يد النبي عطرا لم يشم الناس أطيب منه، وكانت عند عتبة أربع زوجات فكن يتسابقن بالتجمل له، ومن جملة التجمل التطيب بالعطور، فكن يسرفن بوضع الطيب على أجسامهن، فلما يحضر زوجهن (عتبة) يغلب ريحه على طيبهن، فيتعجبن من ذلك، وكان عتبة إذا خرج إلى السوق يشم الناس ريحه على بعد وبعد زمن طويل من مروره، فسألوه عن ذلك فقص عليهم ما حصل له، وبقي عتبة مطيبا بطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فارق الدنيا رضي الله عنه.

نافق حنظلة

روى مسلم وغيره عَنْ حَنْظَلَةَ الأَسَيِّدِي وَكَانَ مِنْ كُتابِ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم قَال: لقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَال: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَال: سُبْحَانَ اللهِ! مَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا قَال أَبُو بَكْر: فَوَاللهِ إِنَّا

لنَلْقَى مِثْل هَذَا فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلى رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُول اللهِ فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُول اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم: وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْكم لوْ تَدُومُونَ عَلى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لصَافَحَتْكُمْ الملائِكَةُ عَلى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثلاثَ مَرَّاتٍ [75].

فهذا سيدنا حنظلة التميمي رضي الله عنه اتهم نفسه بالنفاق، لأنه كان إذا جلس عند النبي صلى الله عليه وسلم تعتريه حالة إيمانية فيعاين الجنة والنار وأمور الآخرة، فإذا خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهله فيباسطهم، ويلاعب أبناءه الصغار ويعمل ببستان نخيله يفقد هذا الحال فلا يجده، ثم يذهب مرة أخرى عند النبي صلى الله عليه وسلم فيصيبه الحال الأول، ثم يعود إلى بيته وبستانه فيفقده، فأخذ يتفكر في أمره، فمرة وهو جالس على باب بستانه متفكرا بحاله اتهم نفسه بالنفاق، ثم أخذ يبكي على نفسه، فمر به سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، فسأله عن سبب البكاء فشرح له حالته هذه فقال أبو بكر: كلنا ذاك الرجل، إن كان هذا نفاقا فأنا كذلك، إذهب بنا إلى الطبيب، فذهبا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى النبي آثار الحزن والبكاء على حنظلة فسأله عن سبب

[75] صحيح مسلم - (13 / 303) فضل دوام الذكر.

بكائه وحزنه فشرح له حاله، فقال عليه الصلاة والسلام: إن هذا مدد النبوة حيث إنك إذا جالستني يسري ما في باطني إلى ما في باطنك فيسري معك هذا الحال المكتسب مني لا منك، ولو أن هذا الحال يدوم معك لرأيت الملائكة بأم عينك وهي تصافحك في كل مكان، ثم قال له: إن فاتتك مجالستي فاذكر الله تعالى حتى تعوض ما فاتك من النور الذي تكتسبه مني.

يطلب من النبي أن يكون رفيقه في الجنة

روى مسلم عن رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ قَال كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم وَأَقُومُ لهُ فِي حَوَائِجِهِ نَهَارِي أَجْمَعَ حَتَّى يُصَلِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم الْعِشَاءَ الآخِرَةَ فَأَجْلِسَ بِبَابِهِ إِذَا دَخَل بَيْتَهُ أَقُولُ لعَلهَا أَنْ تَحْدُثَ لِرَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم حَاجَةٌ فَمَا أَزَالُ أَسْمَعُهُ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ حَتَّى أَمَل فَأَرْجِعَ أَوْ تَغْلِبَنِي عَيْنِي فَأَرْقُدَ فَقَال لِي يَوْمًا لما يَرَى مِنْ خِفَّتِي لهُ وَخِدْمَتِي إِيَّاهُ: سَلْنِي يَا رَبِيعَةُ أُعْطِكَ فَقُلْتُ: أَنْظُرُ فِي أَمْرِي يَا رَسُول اللهِ ثُمَّ أُعْلمكَ ذَلِكَ قَال: فَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي فَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ زَائِلةٌ وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَكْفِينِي وَيَأْتِينِي فَقُلْت: أَسْأَلُ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم لآخِرَتِي فَإِنَّهُ مِنْ اللهِ عَزَّ وَجَل بِالمَنْزِل الذِي هُوَ بِهِ قَال: فَجِئْتُ فَقَال: مَا فَعَلْتَ يَا رَبِيعَةُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُول اللهِ أَسْأَلُكَ أَنْ تَشْفَعَ لِي إِلى رَبِّكَ فَيُعْتِقَنِي مِنْ النَّار فَقَال: مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا يَا رَبِيعَةُ؟ فَقُلْتُ: لا وَاللهِ الذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ وَلكِنَّكَ لما قُلْتَ: سَلْنِي أُعْطِكَ وَكُنْتَ مِنْ اللهِ بِالمَنْزِل الذِي أَنْتَ بِهِ نَظَرْتُ فِي أَمْرِي وَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ

وَزَائِلةٌ، وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَأْتِينِي فَقُلْتُ: أَسْأَلُ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم لآخِرَتِي قَال: فَصَمَتَ رَسُولُ اللهِ صَـلى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلم طَوِيلا ثُمَّ قَال لِي: إِنِّي فَاعِلٌ فَأَعِنِّي عَلى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ.

وفي رواية أخـرى: كُنْـتُ آتِـي رَسُـول اللهِ صَـلى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلم بِوَضُوئِهِ وَبِحَاجَتِهِ فَقَال: سَلْنِي قُلْتُ: مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَال: أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ قَال: فَأَعِنِّي عَلى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ [76].

يستفاد من هذا الحديث أمور:

أولا: أن النبي صلى الله عليه وسلم هو من ربه بالمنزل الذي إذا وعد أحدا بدخول الجنة أو عتقه من النار يـوفي لـه بـذلك، وهـو وعـد لا يتخلف أبدا.

الثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم بالمكانة الزلفـى الـذي يسـتطيع من خلالها أن يقول للناس سلوني ما شئتم فإني أضمن على ربـي أن يعطيكم ما سألتم من خيرات الدنيا والآخرة.

الثالث: جواز الطلب من النبي صلى الله عليه وسـلم أمـورا لا يقـدر عليها إلا الله تعالى، فدخول الجنة هو بيد الله وحده، والعتق من النـار هو لله وحده، يعتق من يشاء ويعذب من يشاء، لكن الله تعالى أعطـى نبيه هذه المكانة بحيث أصبح أن من طلب من النبي فكأنـه طلـب مـن الله، وهذا مستفاد من قول ربيعة: (وَكُنْتَ مِنْ اللهِ بِالمنْزِلِ الـذِي أَنْـتَ بِهِ) .

---

[76] صحيح مسلم – (ج 3 / ص 40) .

الرابع: يستفاد أيضا أن طلب المدد من النبي صلى الله عليه وسلم ليس مقصورا في الدنيا فقط، أو للأمور الدنيوية فقط، فكما أن الصحابة سألوه لدنياهم كذلك سألوه لآخرتهم.

شاب يشكو للنبي محبته للزنا

روى احمد عن أَبِي أُمَامَةَ قَال: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم فَقَال: يَا رَسُول اللهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَل الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا: مَهْ مَهْ فَقَال: ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَال: فَجَلَسَ قَال: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ قَال: لا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَال: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ قَال: أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟ قَال: لا وَاللهِ يَا رَسُول اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَال: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَال: أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قَال: لا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَال: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ قَال: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَال لا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَال: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَال: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَال: لا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَال: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ قَال: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَال: اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلم يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلى شَيْءٍ [77].

فهذا الأمر الذي عجز عنه الشاب طيلة حياته وهو محبته للزنا رغم وجود الإيمان في قلبه أزاله الله من قلبه إلى أن مات بجلسة واحدة عند النبي صلى الله عليه وسلم، وبمسحة يد كريمة أذهب الله ما كان يجد.

---

[77] مسند أحمد - (45 / 180)

المدد النبوي لسلمان

قَال لِي رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم: كَاتِبْ يَا سَلمانُ فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلى ثَلاثِ مِائَةِ نَخْلةٍ أُحْيِيهَا لهُ بِالْفَقِيرِ وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم لأَصْحَابِهِ أَعِينُوا أَخَاكُمْ، فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ؛ الرَّجُلُ بِثَلاثِينَ وَدِيَّةً وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ وَالرَّجُلُ بِعَشْر، يَعْنِي الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلاثُ مِائَةِ وَدِيَّة، فَقَال لِي رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم: اذْهَبْ يَا سَلمانُ فَفَقِّرْ لهَا فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ، فَفَقَّرْتُ لهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُه، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم مَعِي إِلَيْهَا فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لهُ الْوَدِيَّ وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم بِيَدِهِ فَوَ الذِي نَفْسُ سَلمانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ فَأَدَّيْتُ النَّخْل وَبَقِيَ عَليَّ المالُ فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ المغَازِي فَقَال: مَا فَعَل الْفَارِسِيُّ المكَاتَب؟ قَال: فَدُعِيتُ لهُ فَقَال: خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلمانُ فَقُلْت: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُول اللهِ مِمَّا عَليَّ؟!! قَال: خُذْهَا فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ قَال: فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لهُمْ مِنْهَا وَالذِي نَفْسُ سَلمانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ وَعُتِقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لم يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ[78].

[78] مسند أحمد – (48 / 244) المعجم الكبير للطبراني – (6 / 29) .

وخلاصة الأمر:

أن سلمان الفارسي كـان في العـراق فـألقى الله في قلبـه محبـة الـدين وكان هذا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فأتى إلى راهب فـأمره بالهجرة الى الحجاز مبعث نبي قرب وقته، فسافر مع قافلة فلما كان في الطريق وثبوا عليه وأوثقوه رباطـا، وبـاعوه رقيقـا لـبعض اليهـود في المدينة، فلما هاجر عليه الصلاة والسلام سمع سلمان بـذلك فـذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليتعرف عليه هل هو نبي آخر الزمن أم لا؟ وكان على علم من أن هذا النبي يقبل الهدية ولا يقبـل الصـدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، ومهـاجره يثـرب، فأخـذ قطفـا مـن بلـح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: هذه صدقة لـك ولأصـحابك لأنكم قوم غرباء، فقال رسول الله لأصحابه: كلوا وأمسك النبي عـن الأكل، ثم غدا سلمان من الغد بقطف آخر وقال: رأيتك بـالأمس لا تأكل من الصدقة وهذا هدية لـك، فأكـل منـه الـنبي صـلى الله عليـه وسلم، فقال سلمان: هذه واحدة، أي من العلامات التي عرفهـا مـن نبي آخر الزمن، ثم وقـف خلـف رسـول الله يلـتمس أن يـرى خـاتم النبوة فعلم منه النبي ذلك فأرخى رداءه حتى بـان خـاتم النبـوة فقبلـه سلمان وأعلن إسلامه، فلما علـم سـيد سـلمان اليهـودي منعـه مـن القدوم علـى رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم، حتـى كـان العـام الخامس الهجري فكاتب سـلمان سـيده، أي أنـه اشـترى حريتـه مـن سيده بثلاثمائة نخلة مثمرة، واثنتي عشرة أوقية مـن ذهـب، فاسـتغاث سلمان بالنبي صـلى الله عليـه وسـلم فقـال عليـه الصـلاة والسـلام لأصحابه: أعينوا أخاكم، فتصدقوا عليه بفسائل النخل حتـى اجتمـع

له العدد المطلوب، فأمره عليه الصلاة والسلام أن يحفر لها فحفر، فغرس عليه الصلاة والسلام النخل بيده الكريمة فأثمرت من عامها إلا شجرة واحدة، فسأل عنها عليه الصلاة والسلام فأخبره عمر أنه غرسها، فاقتلعها عليه الصلاة والسلام ثم غرسها بيده فأثمرت من عامها.

وبعد أيام جيء بغنائم ومن جملتها ذهب بحجم بيضة الدجاج، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن سلمان فأتي به فأعطاه قطعة الذهب وقال: أعط سيدك، فاستغرب سلمان كيف توفي هذه القطعة اثنتي عشرة أوقية وهي لا تساوي أوقية واحدة؟! فقال له عليه الصلاة والسلام: إن الله سيؤدي عنك، فوزن سلمان منها اثنتي عشرة أوقية لسيده كاملة لم ينقص منها شيء، فأحرز سلمان حريته وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحبه النبي حتى قال فيه: سلمان منا أهل البيت.

أهل الخندق يأكلون من قصعة جابر

روى البخاري عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَال: لما حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم خَمَصًا شَدِيدًا فَانْكَفَأْتُ إِلى امْرَأَتِي فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم خَمَصًا شَدِيدا؟ فَأَخْرَجَتْ إِليَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِير، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ فَفَرَغَتْ إِلى فَرَاغِي وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَيْتُ إِلى رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم فَقَالت: لا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم وَبِمَنْ مَعَه،

فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْت: يَا رَسُول اللهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لنَا وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا فَتَعَال أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَك، فَصَاحَ النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم فَقَال: يَا أَهْل الْخَنْدَقِ إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا فَحَيَّ هَلا، فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم لا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي فَقَالتْ: بِكَ وَبِكَ فَقُلْت: قَدْ فَعَلْتُ الذِي قُلْتِ فَأَخْرَجَتْ لهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ ثُمَّ عَمَدَ إِلى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ ثُمَّ قَال ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلا تُنْزِلُوهَا وَهُمْ أَلْفٌ فَأُقْسِمُ بِاللهِ لقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لتَغِطُّ كَمَا هِيَ وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ[79] .

الاستشفاء بأثر يد رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى البيهقي وأبو نعيم عن الذيال بن عبيد بن حنظلة بن حذيم بن حنيفة قال: سمعت جدي حنظلة يحدث أبي وأعمامه: أن حنيفة جمع بنيه فذكر الحديث في وصيته وقدومه على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه حذيم وحنظلة، وفي آخره قال : بأبي أنت وأمي أنا رجل ذو سن، وهذا ابني حنظلة فسمت عليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا غلام » فأخذ بيده فمسح رأسه وقال له: « بورك فيك » أو قال: « بارك الله فيك » قال راوي الحديث: ورأيت حنظلة يؤتي بالشاة الوارم ضرعها، والبعير والإنسان به الورم ، فيتفل في يده

[79] صحيح البخاري - (13 / 6) صحيح مسلم - (10 / 338) .

ويمسح بصلعته ويقول: **بسم الله على أثر يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمسحه فيذهب عنه** [80] .

انقلاب الأعيان

* عن ابن إسحاق في تسمية من شهد بدرا قال: وعكاشة بن محصن (بتشديد الكاف ومعناه في اللغة: بيت العنكبوت) وهو الذي قاتل بسيفه يوم بدر حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جذلا من حطب وقال: « قاتل بها يا عكاشة » فلما أخذه من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد سيفا في يده طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديدة، فقاتل بها حتى فتح الله تعالى على رسوله، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل، يعني في قتال أهل الردة وهو عنده ، وكان ذلك السيف يسمى القوي [81] .

* وانكسر سيف سلمة بن أسلم بن حريش يوم بدر فبقي أعزل لا سلاح معه، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان في يده من عراجين ابن طاب فقال: «اضرب به » فإذا هو سيف جيد، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيدة [82] .

---

[80] رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (262/6) والبيهقي في دلائل النبوة (429/6) جماع أبواب دعاء نبينا .

[81] رواه البيهقي في دلائل النبوة (3 / 106) .

[82] رواه البيهقي في دلائل النبوة (3 / 108) .

هكذا هو المدد النبوي، فقد تجاوز الأمر إلى انقلاب الأعيان في يده صلى الله عليه وسلم، وهذا ضرب مما يحيله العقل، لكن لما كان الأمر بيد النبي صلى الله عليه وسلم لم يستغرب.

النبي يرد عين قتادة

عن قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « لا » فدعا به فغمز حدقته براحته ، فكانت أصح عينيه بعد أن أدركه الكبر[83] .

فسيدنا قتادة رضي الله عنه لما كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهاده ضد المشركين، جاء سهم غرب أصاب عينه فاقتلعها من مكانها حتى سالت على خده، ولم يمتنع قتادة عن القتال، فقاتل طيلة يومه حتى أخرته عينه عن القتال، فاستشار أصحابه بإزالتها ويبقى بدون عين، فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم، فدعا به وأمسك عينه بيده المباركة ووضعها مكانها وضغطها بيده ضغطا لطيفا حتى استقرت، فصار يبصر بعينيه وكأنه لم يمسه ضر قط، ولما كبر قتادة وضعف بصره بقيت عينه تلك على حالها من قوة الإبصار.

قال في الإستيعاب في معرفة الأصحاب: قتادة بن النعمان بن زيد الأنصاري، يكنى أبا عمرو ، شهد بدراً والمشاهد كلها، وأصيبت عينه يوم أحد فسالت حدقته، فأرادوا قطعها ثم أتوا النبي صلى الله

---

[83] المصدر السابق (3 / 109) .

عليه وسلم فدفع حدقته بيده حتى وضعها موضعها ثم غمزها براحته، وقال: "اللهم اكسها جمالاً" فجاءت وإنها لأحسن عينيه وما مرضت بعده[لخ سم].

وذكر الأصمعي عن أبي معشر المدني قال: وفد إلى عمر بن عبد العزيز رجل من ولد قتادة بن النعمان فلما قدم عليه قال له: ممن الرجل؟ فقال:

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لأول أمرها فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبت بماء فعادت بعد أبوالا

الصحابة يطلبون الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم:

* روى الترمذي عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَال: أَنَا فَاعِلٌ قُلْتُ: يَا رَسُول اللهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَال: اطْلُبْنِي أَوَّل مَا تَطْلُبُنِي عَلى الصِّرَاطِ قُلْتُ: فَإِنْ لم أَلْقَكَ عَلى الصِّرَاطِ؟ قَال: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الميزَانِ قُلْتُ: فَإِنْ لم أَلْقَكَ عِنْدَ الميزَانِ؟ قَال: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لا أُخْطِئُ هَذِهِ المَوَاطِنَ الثلاث[84].

* وروى الطبراني في الكبير عن سواد بن قارب في قصة إسلامه فقال بعد كلام طويل: 000فَلما أَصْبَحْتُ شَدَدْتُ عَلى رَاحِلَتِي،

---

[84] الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (1 / 394) .

[85] سنن الترمذي - (ج 8 / ص 466) .

فَانْطَلَقْتُ مُتَوَجِّهًا إِلى مَكَّةَ، فَلما كُنْتُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، أُخْبِرْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم قَدْ هَاجَرَ إِلى المدِينَةِ، فَأَتَيْتُ المدِينَةَ، فَسَأَلْتُ عَنِ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم، فَقِيل لِي: فِي المسْجِدِ , فَانْتَهَيْتُ إِلى المسْجِدِ فَعَقَلْتُ نَاقَتِي، وَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم وَالنَّاسُ حَوْلَهُ، فَقُلْتُ: اسْمَعْ مَقَالَتِي يَا رَسُول اللهِ، فَقَال أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُ: ادْنُهْ، ادْنُهْ، فَلم يَزَلْ بِي حَتَّى صِرْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَال: هَاتِ , فَأَخْبِرْنِي بِإِتْيَانِكَ رِئِيَّكَ , فَقُلْتُ:

فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّكَ مَأْمُونٌ عَلى كُلِّ غَائِبِ
وَأَنَّكَ أَدْنَى المرْسَلِينَ وَسِيلةً إِلى اللهِ يَا ابْنَ الأَكْرَمِينَ الأَطَايبِ
فَمُرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مَنْ مَشَى وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لا ذُو شَفَاعَة سِوَاكَ بِمُغْنٍ عَنْ سَوَادِ بن قَارِبِ

قَال: فَفَرِحَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم وَأَصْحَابُهُ بِإِسْلامِي فَرَحًا شَدِيدًا حَتَّى رُؤِيَ فِي وُجُوهِهِمْ، قَال: فَوَثَبَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُ إِلَيْهِ، وَالْتَزَمَهُ، قَال: قَدْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ هَذَا مِنْكَ[86] .

* وروى ابو نعيم في الدلائل عن مازن بن العضوب أنه جاء مسلما فأنشد:

إليك رسول الله خبت مطيتي تجوب الفيافي من عُمان إلى العرج

[86] المعجم الكبير للطبراني (6 / 208) دلائل النبوة للبيهقي (2 / 126) المستدرك - (5 / 382) .

لتشفع لي يا خير من وطئ الثرى فيغفر لي ربي فأرجع بالفلج [87]

والشاهد في هذه الأحاديث هو طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم على ألسنة بعض الصحابة وإجابة النبي عليه الصلاة والسلام لهم، ولو كان طلب الشفاعة شركا أيجيبهم رسول ويوافقهم على الشرك؟؟ وهذا نوع من أنواع الاستغاثة.

النبي يعطي صكاكا لدخول الجنة

روى الطبراني عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « يوضع للأنبياء منابر من ذهب يجلسون عليها، ويبقى منبري لا أجلس عليه، قائم بين يدي ربي عز وجل منتصبا لأمتي مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي فأقول: يا رب، أمتي أمتي فيقول الله عز وجل: يا محمد، ما تريد أن أصنع بأمتك ؟ فأقول : يا رب عجل حسابهم، فيدعى بهم فيحاسبون، فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي **فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد بعث بهم إلى النار**، وحتى إن مالكا خازن النار يقول: يا محمد ما تركت لغضب ربك من أمتك من نقمة » [88] .

العرب تنتصر على الفرس باسم "محمد"

روى غير واحد عن خالد بن سعيد عن أبيه عن جده أن بكر بن وائل قدم مكة في الحج فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

[87] دلائل النبوة ص76 .

[88] المعجم الأوسط للطبراني - (7 / 5) المستدرك (1 / 90) .

لأبي بكـر: إيـتهم واعـرض علـيهم (أي الإسـلام) فأتـاهم فعـرض عليهم فقالوا: حتى يجئ شيخنا حارثة، فلما جاء قـال: إن بيننـا وبـين الفرس حربا فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا نظرنا فيمـا تقـول، فلمـا التقوا "بذي قار" قال لهم شيخهم: ما اسم الرجل الـذي دعـاكم إلى مـا دعاكم إليه ؟ قالوا: محمد، قال: فهو شعاركم،فنصروا علـى الفـرس، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنه أول يوم انتصـف فيـه العرب من الفرس وبي نصروا[89].

وقعة ذي قار معركة مشهورة حصلت بين العرب والفـرس لمـا مـر على بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ما يقارب خمس سـنوات، وهـي أول معركة انتصر فيها العرب علـى الفـرس، ومعلـوم مـا هـي قـوة الفرس في ذلك الوقت، وسبب النصر أن حارثة الشيباني كـان شـيخ القبيلة، وهو والد المثنى بن حارثة القائد العسكري المحنك، فلما كانوا في سوق عكاظ ودعاهم النبي صلى الله عليه وسلم للإسلام، أجلـوا إسلامهم حتى يأتي شيخهم، فلمـا أخـبروه سـألهم مـا اسـم الرجـل الذي دعاكم؟ قالوا: محمد، فقال: اجعلوا هذا الاسم شـعارا لكـم في حربكم مع الفرس، فلما بدأت المعركة بـدأوا يقولـون: يـا محمـد، يـا محمد، فنصرهم الله ببركة هـذا الاسـم الشـريف، فلـذلك قـال عليـه الصلاة والسلام: بي نصروا، أي بسببه نصرهم الله.

---

[89] الخصائص الكبرى - (1 / 313) .

المدد النبوي يخفف العذاب عن أبي لهب

روى البخاري بسنده إلى العباس بن عبد المطلب قال:

فَلما مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ قَال لهُ: مَـاذَا لقِيـتَ؟ قَال أَبُو لَهَبٍ: لم أَلْقَ بَعْدَكُمْ خيرا غَيْرَ أَنِّـي سُـقِيتُ فِـي هَـذِهِ بِعَتَـاقَتِي ثُوَيْبَةَ [90].

ورواه البيهقي بلفظ: قال عروة: ثويبة مولاة لأبـي لهـب، كـان أبـو لهب اعتقها، فارضعت النبي صلى الله عليـه وسـلم، فلمـا مـات أبـو لهب أريه بعض أهله في النوم بشر حيبة فقال له: مـاذا لقيـت؟ فقـال أبو لهب: لم ألق بعدكم رخاء غير أنـى سـقيت في هـذه منـى بعتـاقتي ثويبة، وأشار إلى النقيرة التى بين الابهام والتى تليها من الأصابع [91] ورواية ابن الأثير: قال عروة : وثويبة مولاة أبي لهـب، وكـان أعتقهـا حين بَشَّرته بميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرضَعَتْ رسـول الله صلى الله عليه وسلم، فلما مات أبـو لهـب كـافرا رآه العبـاس في المنام بعدما أسلم العباسُ بشرِّ حيبة فقال له: ماذا لقيت؟ قال: لم ألـق خيرا بعدكم، غير أني سُـقيت أو قـال: أُسْـقَى في هـذه ، يعـني: نُقْـرَة إبهاميه كل ليلة اثنين بعتاقتي ثويبة قـال: وقـال أبـو عيسـى: وكانـت

---

[90] صحيح البخاري (16 / 49) باب وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم .

[91] السنن الكبرى للبيهقي (7 / 162) ورواه أيضـا فـي الـدلائل (62/1) وفـي الشـعب (306/1).وحيبة: العذاب .

ثويبة حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي أم أَيْمَن، وأم أُسامة بن زيد، وكانا أخوين لأم، وأبو أيمن رجل من الأنصار[92].

قال السهيلي: وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيّ أَنّ بَعْضَ أَهْلِهِ رَآهُ فِي المَنَامِ فِي شَرّ حِيبَةٍ وَهِيَ الْحَالَةُ فَقَال مَا لقِيت بَعْدَكُمْ رَاحَةً غَيْرَ أَنّي سُقِيت فِي مِثْلِ هَذِهِ بِعِتْقِي ثُوَيْبَةَ، وَأَشَارَ إلى النّقْرَةِ بَيْنَ السّبّابَةِ وَالإبْهَامِ بِعِتْقِي ثُوَيْبَةَ، وَفِي غَيْرِ الْبُخَارِيّ أَنّ الّذِي رَآهُ مِنْ أَهْلِهِ هُوَ أَخُوهُ الْعَبّاسُ قَال: مَكَثْت حَوْلا بَعْدَ مَوْتِ أَبِي لَهَبٍ لا أَرَاهُ فِي نَوْمٍ، ثُمّ رَأَيْته فِي شَرّ حَالٍ فَقَال: مَا لقِيت بَعْدَكُمْ رَاحَةً إلا أَنّ الْعَذَابَ يُخَفّفُ عَنّي كُلّ يَوْمِ اثْنَيْنِ، وَذَلِكَ أَنّ رَسُول اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلم وُلِدَ يَوْمَ الأثْنَيْنِ، وَكَانَتْ ثُوَيْبَةُ قَدْ بَشّرَتْهُ بِمَوْلِدِهِ فَقَالتْ لَهُ: أَشَعَرْت أَنّ آمِنَةَ وَلدَتْ غُلامًا لأخِيك عَبْدِ اللّهِ ؟ فَقُلْ لَهَا: اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرة، فَنَفَعَهُ ذَلِكَ وهو فِي النّارِ كَمَا نَفَعَ أَخَاهُ أَبَا طَالِبٍ ذَبّهُ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلم، فَهُوَ أَهْوَنُ أَهْلِ النّارِ عَذَابًا[93].

قال ابن حجر: وَقَال إبْن المنَيِّر فِي الْحَاشِيَة: هُنَا قَضِيَّتَان: **إحْدَاهُمَا؛** مُحَال وَهِيَ اِعْتِبَار طَاعَة الْكَافِر مَعَ كُفْره، لأَنَّ شَرْط الطَّاعَة أَنْ تَقَع بِقَصْدٍ صَحِيح، وَهَذَا مَفْقُود مِنْ الْكَافِر .

الثَّانِيَة؛ إثَابَة الْكَافِر عَلى بَعْض الأعْمَال تَفَضلا مِنْ الله تَعَالى ، وَهَذَا لا يُحِيلهُ الْعَقْل، فَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ لم يَكُنْ عِتْق أَبِي لَهَب لِثُوَيْبَة قُرْبَة مُعْتَبَرَة، وَيَجُوز أَنْ يَتَفَضَّل الله عَلَيْهِ بِمَا شَاءَ كَمَا تَفَضَّل عَلى أَبِي طَالِب، وَالمتَّبَع فِي ذَلِكَ التَّوْقِيف نَفْيًا وَإِثْبَاتًا .

---

[92] جامع الأصول من أحاديث الرسول – (8 / 259).

[93] الروض الأنف (96/3) .

قُلْت: وَتَتِمَّة هَذَا أَنْ يَقَع التَّفَضُّل المذْكُور إِكْرَامًا لمنْ وَقَعَ مِـنْ الْكَـافِرِ الْبرّ لهُ وَنَحْو ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلم (انتهى كلام ابن حجر لخ شم .

ورواه عبد الرزاق برشم وأبو عوانة ترشم وأورده أيضـا ابـن كـثير برشم والبرهـان الحلـبي سمشم والسـيوطي شمشم وابـن الـديبع لم لم لج وابـن الجوزي لج لم لج.

قلت: إن الكافر يعـذب بكفـره، ويعـذب بالمعاصـي الزائـدة علـى الكفر أيضا، لكن هنا حالة استثنائية، وهي أن عتق أبي لهب للجاريـة عندما بشرته بميلاد المصطفى صلى الله عليه وسـلم كافـأه الله عليهـا، ذلـك لأن الـنبي صـلى الله عليـه وسـلم رحمـة مهـداة، رحـم الله بـه العالمين، ومنهم الكافر، فالكفار نالتهم هـذه الرحمـة في الـدنيا بتـأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامـة بخـلاف مـن كـذب الأنبيـاء السـابقين، كقوم سيدنا هود وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسـلام، فمـا دام أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، فهي تصيب من تعـرض لها من الكفار، وما أحسن ما قيل:

---

[94] فتح الباري لابن حجر (14 / 344).

[95] مصنف عبد الرزاق (7 / 478)

[96] مستخرج أبي عوانة (5 / 170) .

[97] السيرة النبوية لابن كثير (1 / 224) .

[98] السير الحلبية (1 / 183) .

[99] الخصائص الكبرى (1 / 351)

[100] حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار (1 / 37).

[101] الوفا بتعريف فضائل المصطفى (1 / 62).

إذا كان هذا كافرا جاء ذمـــه وتبت يـداه في الجحيم مُخلدا
أتي أنه في يــوم الاثنين دائمـا يخفف عـنه للسرور بأحْمـدا
فما الظن بالعبد الذي كل عمره بأحمد مسرور ومات موحـدا

الاستغاثة بغير الأنبياء:

النبي يطلب الدعاء من عمر

*روى احمد عن عمر بن الخطاب أَنَّهُ اسْـتَأْذَنَ الـنبي صـلى الله عليـه وسلم في العمرة، فَأَذِنَ لهُ فَقَال: يَا أَخِي لا تَنْسَنَا مِـنْ دُعَائِـكَ، فَقَـال عُمَـرُ مَـا أُحِـبُّ أَنَّ لِـي بِهَـا مَـا طَلعَـتْ عَلَيْـهِ الشَّـمْسُ لِقَوْلِـهِ يَـا أَخِي [102].

فالنبي صلى الله عليه وسلم طلب من سيدنا عمر الـدعاء لـه عنـد البيت الحرام، وسيدنا رسول الله غـني عـن أن يـدعو لـه رجـل مثـل عمر، ولكنه الأسلوب النبوي بتعليم أمته أنه مهما وصل أحـدهم إلى مرتبة في الولاية فلا مانع من سؤال الزيادة، ولو كان أدنى منه مرتبة.

النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لرقيق

* روى أبو داود عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مُغِيثًا كَانَ عَبْدًا فَقَال: يَا رَسُـول اللهِ اشْفَعْ لِي إِلى بريرة، فَقَال رَسُـولُ اللهِ صَـلى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلم: يَـا بَرِيرَةُ اتَّقِي اللهَ فَإِنَّهُ زَوْجُكِ وَأَبُو وَلَدِكِ فَقَالتْ: يَا رَسُول اللهِ أَتَـأْمُرُنِي بِذَلِكَ؟ قَال: لا **إِنَّمَا أَنَا شَافِعٌ**، فَكَانَ دُمُوعُهُ تَسِـيلُ عَلـى خَـدِّهِ فَقَـال

[102] مسند أحمد - (1 / 194) .

رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم لِلْعَبَّاسِ: أَلا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ وَبُغْضِهَا إِيَّاهُ[103].

وهذا الحديث يعلمنا أيضا أن الشفاعة مطلوبة من النبي وغير النبي، والشفاعة هي نوع من المدد، وكل ذالك من تكرمة الله لهذه الأمة.

النبي يطلب النصرة من القبائل

ومما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه عرض نفسه على قبائل العرب قبيلة قبيلة لتقدم له الحماية حتى يستطيع نشر رسالته، فقد ذكر ابن اسحاق أنه عرض نفسه على كندة وكلب فقال لهم «إن الله قد أحسن اسم أبيكم أي عبدالله» ثم عرض عليهم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم، وعرض على بني حنيفة وبني عامر بن صعصعة فقال له رجل منهم: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظفرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك، فقال: الأمر إلى الله يضعه حيث شاء؛ فقال له: أنقاتل العرب دونك؟ وفي رواية، أنهدف نحورنا للعرب دونك» أي نجعل نحورنا هدفاً لنبلهم «فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك وأبوا عليه، فلما رجعت بنوا عامر إلى منازلهم وكان فيهم شيخ أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم الموسم؛ فلما قدموا عليه سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش أحد بني عبد المطلب، يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن

---

[103] سنن النسائي – (16 / 273) سنن أبي داود – (6 / 148) .

نمنعه، ونقوم معه، ونخرج به إلى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال: يا بني عامر هل لها من تلاف؟ أي تدارك «هل لها من مطلب؟ والذي نفس فلان بيده ما يقولها أي ما يدعي النبوة أحد من بني إسماعيل كاذبا قط، وإنها لحق، وإن رأيكم غاب عنكم لخ لم لج .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعين بقبائل العرب حتى يقدموا له الحماية من أجل نشر الدين، ولو كانت الاستعانة بغير الله شركا كما يزعم المانعون من قولهم كما ورد في الحديث: إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، لما فعله عليه الصلاة والسلام.

يا سارية الجبل

روى البيهقي أن عمر بن الخطاب بعث جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية بن حصن قال: فبينما عمر يخطب فجعل يصيح وهو على المنبر: يا سارية بن حصن!! الجبل الجبل، يا سارية بن حصن الجبل الجبل، ومن استرعى الذئب الغنم فقد ظلم، ثم قال: إن لله جنودا ولعل بعضهم أن يبلغهم، فقال بعضهم لقد جُن، إنه لمجنون فقال علي: والله ليخرجن منها كما دخل، فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يطمئن إليه فقال: لشد ما ألومهم عليك، إنك لتجعل لهم على نفسك مقالا، بينما أنت تخطب إذا أنت تصيح: يا سارية الجبل أي شيء هذا؟ انك كنت تصيح بذلك فقال عمر: إني والله ما ملكت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن

---

[104] السير الحلبية – (ج 3 / ص 136) الروض الأنف – (ج 2 / ص 237) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار فى سيرة النبى المختار –(ج 1 / ص 8) .

خلفهم، فلم أملك أن قلت: يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل، فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه: إن القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى إذا حضرت الجمعة ودار حاجب الشمس سمعنا منادياً ينادي يا سارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل، فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم، فقال أولئك الذين طعنوا عليه: دعوا هذا الرجل فإنه مصنوع له [105].

وهذا الحديث يدلنا على قدرة الولي على التصرف لنفع الآخرين، فسيدنا عمر رأى الجيش في منطقة نهاوند في العراق، ولم يكن آنذاك فضائيات رأى من خلالها الكمين ألذي نصبه الفرس لجيشه، وهو مشغول بخطبة الجمعة، فقطع اتصاله بالمسلمين المستمعين له في المسجد النبوي، واتصل بالجبهة مباشرة وأعطى إرشاداته وأوامره العسكرية، فسمع سارية الصوت وسمع الجيش معه، وقالوا: والله إن هذا الصوت يشبه صوت عمر، فانحازوا إلى الجبل، ونجوا من المكيدة التي دبرها الأعداء لهم، وتحول الموقف إلى نصر مبين.

وهذه الكرامة التي أكرم الله بها سيدنا عمر رضي الله عنه تشبه ما حصل لأبينا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام عندما أمره الله تعالى بالأذان بالحج.

قال الطبري عند تفسيره للآية الشريفة: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا) عن ابن عباس، قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت

---

[105] البداية والنهاية (7 / 147) تاريخ المدينة (2 / 754) تاريخ ابن خلدون(2 / 123) تاريخ الإسلام (1 / 111) أسد الغابة (1 / 408) .

قيل له: أَذّنْ فِي النَّاسِ بالحَجّ قال: ربّ ومَا يبلغ صوتي؟ قال: أذّن وعليّ البلاغ فنادى إبراهيم: أيها الناس إن الله كتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فحجوا، قال: فسمعه ما بين السماء والأرض، أفلا ترى الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبون [106].

قلت: إن النداء وقع من أبينا إبراهيم والبلاغ كان من الله تعالى، وكذلك سيدنا عمر عندما تقرب إلى الله بالنوافل أحبه الله، فصار له سمعا وبصرا ويدا ولسانا، فلما كان الله بصره رأى الجيش من مسيرة شهر، ولما تكلم سمعه البعيد كما سمعه القريب على حد سواء، فقد سخر الله له الهواء كما سخر له الماء.

رسالة من عمر إلى نيل مصر

روى غير واحد عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال: لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل يوم من أشهر العجم فقالوا: يا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كان إحدى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلي أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل فقال: لهم عمرو إن هذا لا يكون أبدا في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله، فأقاموا والنيل لا يجري قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب له أن قد أصبت بالذي قلت، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله، وبعث بطاقة في داخل

---

[106] تفسير الطبري - (18 / 605).

كتابه، وكتب إلى عمرو إني قد بعثت إليك ببطاقة في داخل كتابي فألقها في النيل، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فإذا فيها: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله يجريك فأسأل الله الواحد القهار أن يجريك، فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم، فأصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، فقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم [107].

فالنيل لم يكن يفيض إلا بما وصف، لكنه رضخ لأمر الخليفة وفاض أكثر مما كان يفيض في السابق، وهذا من أنواع تصرف الولي في ملك الله تعالى، وهذا أيضا مدد أجراه الله على يد الخليفة، حيث استغاث به أهل مصر. فلم تكن الاستغاثة بالخليفة شركا مع أن الذي يجري النهر هو الله.

---

[107] تاريخ الخلفاء - (1 / 51) .

الباب الرابع
مدد النبوة في البرزخ

لقد ثبت لدينا فيما مضى من أدلة تجيز بل ربما تحث على طلب المدد والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولم رأى المنكرون قوة الأدلة التي أوردها المجيزون للاستغاثة حادوا عن الإذعان لهذه الأدلة وذلك تعصباً منهم لمذهبهم، فراحوا يفتشون عما يبطلون به تلك الأدلة، فقالوا: نعم إن ما تقولونه حق، لكن ذلك خاص بحياة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تبين لنا فيما مضى أن القول بانقطاع نفع الميت إنما هو من الفكر اليهودي المتسرب إلى هذا الدين، وهناك ثمة أدلة تبطل قولهم منها:

۞ بما أنا أوردنا حكم الاستغاثة وهو مشروعيته قلنا: أنه باق على الأصل وهو الجواز، لأنه لم يأت ناسخ لهذا الحكم، ومن قال بنسخه فليأت بدليله.

* بما أن المتصرف في الكون هو الله وحده، فلا فرق إذاً بين حياة المستغاث به أو موته لأن النبي لا يتصرف استقلالا، وإنما يكون بأمر من الله تعالى.

* ثبت بما لا يقبل الشك أن النبي صلى الله عليه وسلم حي في البرزخ، بل هو في حياة أكمل مما كان عليه في الدنيا، وهو يغيث من استغاث به، ولدينا أدلة سنوردها في هذا الفصل إن شاء الله.

*إن موت النبي لا يعني انتهاء نبوته، ولا يعني نقص قدره عند خالقه، بل هو أقرب إلى الله من ذي قبل لترقيه الدائم، لذا فشفاعته الآن آكد، والاستغاثة به أبلغ.

بعد هذا الذي قلت سأورد نصوصا ثابتة في السنة تفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم له تصرف يليق بمقامه في البرزخ، وأن موته لا يعنى انقطاع نفعه وتصرفه، وأن الصحابة استغاثوا به صلى الله عليه وسلم بعد لحوقه بالرفيق الأعلى، ومعلوم لدينا أن إجماع الصحابة على أمر يعد تشريعا لنا، لأنهم لا يجتمعون على ضلالة، وهم أعلم الناس بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

النبي صلى الله عليه وسلم يحضر المعارك

روى الطبراني وغيره عن ضمرة بن ثعلبة السلمي، أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ادع لي بالشهادة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم إني أحرم دم ابن ثعلبة على المشركين والكفار قال : فكنت أحمل في عظم القوم، فيتراءى لي النبي صلى الله عليه وسلم خلفهم، وأحمل عليهم حتى أقف عنده، ثم يتراءى لي عند أصحابي، فأحمل حتى أكون مع أصحابي، قال: فعمر زمانا من دهره [108] أي بعد انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدار الآخرة.

فهذا الحديث ثابت الدلالة على تصرف النبي صلى الله عليه وسلم في البرزخ، فهو يحضر معارك المسلمين مع الكفار فيقف خلف الصف تارة ويدعو لهم بالنصر، ثم يقف أمام الصف تارة أخرى ويدعو لهم بالنصر، ودليل ذلك ما شاهده ضمرة كشفا، حيث كشف الله عن بصيرته حتى رأى روح النبي صلى الله عليه وسلم في المعركة، فيحمل أي يقاتل الكفار غير مكترث بهم حتى يقف بجانبه

[108] مسند الشاميين للطبراني (4 / 386) مجمع الزوائد (9 / 369) قال: وإسناده حسن

عليه الصلاة والسلام فيسلم عليه ويؤمن على دعائه، ثم يعود إلى موقفه الأول.

ابن عمر يستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم

* روي أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما خدرت رجله فقيل له: اذكر أحب الناس إليك يزل عنك فصاح: **يا محمداه** فانتشرت[109] لحـ لجـ.

الصحابة يستغيثون بالنبي صلى الله عليه وسلم

ذكر غير واحد من المؤرخين عن وقعة اليمامة وما حصل فيها من الأهوال فقال: ثم برز خالد ودعا إلى البراز ونادى بشعارهم، وكان شعارهم: **يا محمداه!** فلم يبرز إليه أحدٌ إلا قتله. ودارت رحا المسلمين لحـ لجـ لجـ.

بلال بن الحارث يستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم

وذكر غير واحد أيضا يصف عام الرمادة وما حل بالمسلمين من الجوع والقحط وفيه: فقال أهل بيت من مزينة لصاحبهم، وهو بلال بن الحارث: قد هلكنا فاذبح لنا شاة. قال: ليس فيهن شيء فلم يزالوا به حتى ذبح فسلخ عن عظم أحمر، فنادى: **يا محمداه!** فأري في المنام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فقال: (أبشر بالحياة، إيت عمر فأقرئه مني السلام وقل له إني عهدتك وأنت وفيّ العهد شديد العقد، فالكيس الكيس يا عمر)! فجاء حتى أتى باب عمر

---

[109] انظر سبل الهدى والرشاد - (11 / 431) وعزاه إلى ابن السني في عمل اليوم والليلة.

[110] الكامل في التاريخ - (1 / 448) تاريخ الأمم والملوك - (2 / 160) البداية والنهاية - (6 / 357) .

فقال لغلامه: استأذن لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى عمر فأخبره، ففزع وقال: رأيت به مساً؟ قال: لا، فأدخله وأخبره الخبر، فخرج فنادى في الناس وصعد المنبر فقال: نشدتكم الله الذي هداكم هل رأيتم مني شيئاً تكرهون؟ قالوا: اللهم لا، ولم ذاك؟ فأخبرهم، ففطنوا ولم يفطن عمر، فقالوا: إنما استبطأك في الاستسقاء فاستسق بنا فنادى في الناس، وخرج معه العباس ماشياً فخطب وأوجز لج لج لج000الخ

قلت: في الرواية الأولى استغاث عبد الله بن عمر برسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل زوال خدر رجله، واللفظ صريح بذلك، فحرف الياء هو للنداء، وحرفا الألف والهاء في آخره هما للاستغاثة، وعبد الله بن عمر من أكابر الصحابة، فلو كان ذلك شركا لم يقله، ولو كان ذلك شركا لم يجبه الله تعالى على الفور بزوال خدر رجله.

ومثل ذلك في الرواية الثانية، فقد كان شعار الجيش الذي سيره أبو بكر خليفة رسول الله لحرب المرتدين (يا محمداه) والجيش كله من أصحاب النبي وكان غالبهم من حفظة القرآن، وفيهم من جعل النبي شهادته بشاهادة رجلين وهو ثابت بن قيس، وفيهم سيف الله المسلول، وفيهم وفيهم، ومع ذلك كان شعارهم (يا محمداه) أتراهم كانوا مشركين في ذلك؟؟؟

وقل مثل ذلك في الرواية الثالثة، وما كان أسرع من إغاثة النبي صلى الله عليه وسلم لهم لما استغاثوا به.

---

[111] تاريخ الأمم والملوك - (2 / 359) .

الاستسقاء بقبر النبي صلى الله عليه وسلم

وروى الدارمي عن أَبُـي الْجَـوْزَاءِ قَـال : قُحِـطَ أَهْـلُ المدِينَـةِ قَحْطـاً شَدِيداً ، فَشَكَوْا إِلى عَائِشَةَ فَقَالتْ: انْظُرُوا قَبْرَ النَّبِـيِّ صـلى الله عليـه وسلم فَاجْعَلُوا مِنْهُ كِوًى إِلى السَّمَاءِ حَتَّى لاَ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَـيْنَ السَّـمَاءِ سَقْفٌ قَال: فَفَعَلُوا فَمُطِرْنَا مَطَراً حَتَّى نَبَـتَ الْعُشْـبُ وَسَـمِنَتِ الإِبِـلُ حَتَّى تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ فَسُمِّىَ عَامَ الْفَتْقِ[112] لج لج.

وصارت فتحة النافذة سنة عند أهل المدينة، ثم لما سقف المسجد وتعذر فتحه جعلوا شباكا من جهة المسجد الجنوبية مقابل الحجرة، فإذا أرادوا سقيا المطر فتحوا الشباك فيسقون، ولم تزل هذه سنة أهل المدينة إلى قبل أعوام عند التوسعة الأخيرة[113] لج لج للمسجد حيث أزيل الشباك .

الصحابة يستسقون بالنبي صلى الله عليه وسلم

وروى ابن أبي شيبة عن مالك الدار، قال: وكان خازن عمر علي الطعام، قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر فجا رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله استسق لامتك فإنهم قد هلكوا، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم الرجل في المنام فقال له: ائت عمر فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقون وقل له: عليك

---

[112] رواه الدارمي في السنن (108/1) باب ما أكرم الله نبيه بعد موته .

[113] التوسعة الأخيرة انتهت عام (1406) هـ وقبل هذه السنة كنت أرى الشباك مقابل الحجرة من الجهة الجنوبية للمسجد في أعلى الجدار.

الكيس! عليك الكيس! فأتى عمر فأخبره فبكى عمر ثم قال: يـا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه[114].

الاستشفاء بشعره صلى الله عليه وسلم

* وروى البخاري عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَوْهَـبٍ قَـال: أَرْسَـلَنِي أَهْلِي إِلى أُمِّ سَلمةَ زَوْجِ النَّبيِّ صَلى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلم بِقَـدَحٍ مِـنْ مَـاءٍ وَقَبَضَ إِسْرَائِيلُ ثَلاث أَصَابِعَ مِنْ قُصَّةٍ فِيهِ شَعَرٌ مِنْ شَعَرِ النَّبيِّ صَـلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم، وَكَانَ إِذَا أَصَابَ الإِنْسَانَ عَـيْنٌ أَوْ شَـيْءٌ بَعَـثَ إِلَيْهَـا مِخْضَبَهُ فَاطَّلَعْتُ فِي الْجُلْجُلِ فَرَأَيْتُ شَعَرَاتٍ حُمْرًا[115].

الاستشفاء بجبتة صلى الله عليه وسلم

* روى مسلم بسنده إِلى أَسْمَاءَ قَالتْ هَذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم فَأَخْرَجَتْ جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ كِسْرَوَانِيَّةٍ لهَا لِبْنَةُ دِيبَـاجٍ وَفَرْجَيْهَـا مَكْفُوفَيْنِ بِالدِّيبَاجِ فَقَالتْ: هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ حَتَّـى قُبِضَـتْ فَلمـا قُبِضَتْ قَبَضْـتُهَا وَكَـانَ النَّبِـيُّ صَـلى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلم يَلْبَسُـهَا فَـنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلمرْضَى يُسْتَشْفَى بِهَا[116].

في هذين الحديثين استشفاء وتبرك بآثار رسول الله صـلى الله عليـه وسلم، سواء كان بشـعره أو بلبـاس كـان يلبسـه، والـذي فعلـه هـم

---

[114] مصنف ابن أبي شيبة (7 / 483).

[115] صحيح البخاري (18 / 255)

[116] صحيح مسلم – (/ 411) مسند أحمد – (54 / 378) السنن الكبرى للبيهقي – (2 / 423).

صحابته، وكل ذلك كان بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، والاستشفاء والتبرك نوع من الاستغاثة وطلب المدد.

قلنسوة خالد

*وروى الطبراني وغيره أن خَالِدَ بن الْوَلِيدِ فَقَدَ قَلنْسُوَةً لهُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ فَقَال: اطْلُبُوهَا فَلم يَجِدُوها فَقَال: اطْلُبُوهَا فَوَجَدُوهَا فَإِذَا هِي قَلنْسُوَةٌ خَلَقَةٌ فَقَال خَالِدٌ: اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم فَحَلقَ رَأْسَهُ، فَابْتَدَرَ النَّاسُ جَوَانِبَ شَعْرِهِ فَسَبَقْتُهُمْ إِلى نَاصِيَتِهِ فَجَعَلْتُهَا فِي هَذِهِ الْقَلنْسُوَةِ ، فَلم أَشْهَدْ قِتَالا وَهِيَ مَعِي إِلا رُزِقْتُ النَّصْرَ[117].

تقبيل يد مست يد النبي صلى الله عليه وسلم

* أخرج البخاري عن عبد الرحمن بن زيد قال: مررنا بالربذة فقيل لنا: هاهنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، فأتيناه فسلمنا عليه، فأخرج يديه فقال: بايعت بهاتين اليدين

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخرج له كفا ضخمة كأنها كف بعير، فقمنا إليها فقبلناها[118].

التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم

* روى البخاري عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَال: قَدِمْتُ المدِينَةَ فَلقِيَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلامٍ فَقَال لِي: انْطَلِقْ إِلى المنْزِل فَأَسْقِيَكَ فِي قَدَحٍ شَرِبَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم وَتُصَلِّي فِي مَسْجِدٍ صَلى فِيهِ النَّبِيُّ صَلى

---

[117] المعجم الكبير للطبراني (4 / 142) دلائل النبوة للبيهقي (6 / 491) المستدرك (4 / 458) .

[118] الأدب المفرد ص144

اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلم، فَانْطَلَقْـتُ مَعَـهُ فَسَـقَانِي سَـوِيقًا وَأَطْعَمَنِـي تَمْـرًا وَصَلَيْتُ فِي مَسْجِدِهِ[119] .

فهذه النصوص والتي جاء أغلبه في الصحاح دلـت صـراحة علـى مشـروعية الاسـتغاثة وطلـب المـدد بـالتبرك بآثـار الصـالحين، وفي مقدمتهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن هذا التبرك هو نـوع من الاستغاثة، فقد نص العلماء على أن بركـة الـنبي صـلى الله عليـه وسلم تنتقل من ذاته الشريفة إلى غيرهـا مـن الأعيـان، ودلتنـا أيضـا علـى اجتهـاد الصـحابة والتـابعين ومـن بعـدهم في تحصـيل ذلـك، وحرصهم على طلبه من محله الذي انتقلت إليه، كيد لامست يده، أو قدح شرب منه، و قربة لامست فمـه، ودراهـم مسـتها يـده، و جبـة لبسها، وموضع وطأته قدماه، أو شيء من فضلاته أو أجزاء جسمه.

والشاهد في هذه الآثار هو انتقال بركة ذاته الشريفة إلى غيرهـا مـن الأعيان بلا تفريق بين الذوات، وهـذا يـدخل في الأمكنـة والأزمنـة، وإن غاب جسمه الشريف بالموت.

فالمحبون لجناب النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم لا يـرون لـذلك معنى إلا طلب المدد بالتبرك بالمحل الذي شرف بمس جسمه الشريف، وهذا ما نبغيه من كلمة مدد أو استغاثة، والذين لا يحبون هذه البركـة ولا يبغونها حرصا على توحيدهم لهم تأويلاتهم الخاصة بهـم، والـتي يكيفونهـا حسـب أهـوائهم نسـأل الله السـلامة مـن البـدع ورأي الخوارج.

---

[119] صحيح البخاري – (22 / 321) كتاب الاعتصام.

الباب الخامس
الاستغاثة عند العلماء

الاستغاثة عند علماء الأمة

روى الطبراني عَنِ ابْنِ عُمَرَ , قَال: قَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلم: لنْ تَجْتَمِعَ أُمَّتِي عَلى الضَّلالةِ أَبَدًا , فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّ يَدَ اللهِ عَلى الْجَمَاعَة [120] وروى عبد بن حميد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم: « إن أمـتي لـن تجتمـع علـى ضـلالة ، فـإذا رأيـتم الاخـتلاف فعلـيكم بالسـواد الأعظـم [121] » وروى الحاكم

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صـلى الله عليـه و سـلم: لا يجمـع الله هذه الأمة على الضلالة أبدا وقال : يد الله على الجماعـة فـاتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذ شذ في النار [122].

والمقصود بالأمة هم علماء الأمـة في كـل عصـر، فاجتمـاع علمـاء السنة على أمر يعد تشريعا، وهو مصدر من مصادر التشريع، فكيـف إذا كان الاجتماع مـن قبـل العلمـاء السـابقين واللاحقـين؟! لـذلك كانت يد الله على الجماعة ومع الجماعـة، وقـد عـد الـنبي صـلى الله عليه وسلم من خالفهم شاذا، وهذا الشـاذ هـو في النـار، ومشـروعية الاستغاثة جاءت في الكتاب العزيز، وصـريح السـنة النبويـة، وإجمـاع العلماء قديما وحديثا، ولم يشذ عن هـذه القاعـدة إلا شـواذ ممـن رأوا رأي الخوارج الذين ذكرناهم في الرد على الشبهة الأولى مـن شـبههم

---

[120] المعجم الكبير للطبراني - (11 / 78) .

[121] مسند عبد بن حميد - (3 / 344) .

[122] المستدرك (1 / 160) .

في هذا الكتاب، وسأذكر في هذا الفصل إن شاء الله أقوال ثلة من العلماء المتقدمين ومن جاء بعدهم لأدلل على صحة ما ذهبت إليه من إجماع الأمة على مشروعية الاستغاثة:

الخلفاء الراشدون

روى البخاري بسند إلى الزبير رضي الله عنه قَال: لقِيتُ يَوْمَ بَدْرٍ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ مُدَجَّجٌ لا يُرَى مِنْهُ إلا عَيْنَاهُ وَهُوَ يُكْنَى أَبُو ذَاتِ الْكَرِشِ فَقَال: أَنَا أَبُو ذَاتِ الْكَرِشِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْعَنَزَةِ فَطَعَنْتُهُ فِي عَيْنِهِ فَمَاتَ، قَال هِشَامٌ: فَأُخْبِرْتُ أَنَّ الزُّبَيْرَ قَال لقَدْ وَضَعْتُ رِجْلِي عَلَيْهِ ثُمَّ تَمَطَّأْتُ فَكَانَ الْجَهْدَ أَنْ نَزَعْتُهَا وَقَدْ انْثَنَى طَرَفَاهَا قَال عُرْوَةُ: فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم فَأَعْطَاهُ، فَلما قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم أَخَذَهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَعْطَاهُ فَلما قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ سَأَلَهَا إِيَّاهُ عُمَرُ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا فَلما قُبِضَ عُمَرُ أَخَذَهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا عُثْمَانُ مِنْهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلما قُتِل عُثْمَانُ وَقَعَتْ عِنْدَ آلِ عَلِي، فَطَلَبَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِل لخ لج .[123]

الشاهد في هذا الحديث هو أن العنزة[124] لخ لج طلبها النبي صلى الله عليه وسلم من الزبير، فأعطاه إياها، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحملها، وتوضع بين يديه في الصلاة سترة له، فلما قبض النبي عليه الصلاة والسلام طلبها أبو بكر من الزبير تبركا بآثار النبي، فلما قبض

---

[123] صحيح البخاري - (12 / 392) باب شهود الملائكة بدرا.

[124] العنزة عصا طويلة أقصر من الرمح في طرفها زج كزج الرمح، إذا وضع فيها صارت أداة للقتال، يستعملها الشيخ الكبير يتوكأ عليها، .

أبو بكر طلبها عمر تبركا بصاحبيه، فلما قبض عمر طلبها عثمان للتبرك أيضا، وهكذا علي، فالخلفاء الراشدون كانوا شديدي الحرص على التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن حرصهم أيضا أن أبا بكر أوصى أن يدفن بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمر استأذن أن يدفن بجوار صاحبيه، تبركا بهما.

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر أصحاب السير عن عروة بن مسعود في صلح الحديبية وما رآه من تعظيم الصحابة للنبي عليه الصلاة والسلام: ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له.

الشاهد في هذا هو تبرك الصحابة بفضلات النبي صلى الله عليه وسلم، يمسحون بها وجوههم وأبدانهم يطلبون المدد بالتبرم بآثاره عليه الصلاة والسلام.

أبي بن كعب يتبرك بمنبر النبي عليه الصلاة والسلام

روى الشافعي في مسنده عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي إلى جذع نخلة إذ كان المسجد عريشا، وكان يخطب إلى ذلك الجذع، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله، هل لك أن نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم

الجمعة فتسمع الناس خطبتك؟ قال: نعم فصنع لـه ثـلاث درجـات هن اللاتي على المنبر، فلما صنع المنبر ووضع موضعه الـذي وضـعه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا للنبي صـلى الله عليـه وسـلم أن يقوم على ذلك المنبر فيخطب عليه، فمـر إليـه فلمـا جـاوز ذلـك الجذع الذي كان يخطب إليه خار حتـى تصـدع وانشـق، فنـزل الـنبي صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده ثم رجع إلى المنبر، فلما هدم المسجد أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب رضي الله عنه فكان عنده في بيته حتى بلي وأكلته الأرضةوعاد رفاتا [125].

أبو محذورة

روى أحمد عن أبي محذورة قال: خَرَجْتُ فِي عَشَـرَةِ فِتْيَـانٍ مَـعَ النَّبِـيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم وَهُوَ أَبْغَضُ النَّـاسِ إِلَيْنَـا، فَـأَذَّنُوا فَقُمْنَـا نُـؤَذِّنُ نَسْتَهْزِئُ بِهِمْ فَقَال النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم: ائْتُونِي بِهَؤُلاءِ الْفِتْيَـانِ فَقَال: أَذِّنُوا فَأَذَّنُوا فَكُنْتُ أَحَدَهُمْ فَقَال النَّبِـيُّ صَـلى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلم نَعَمْ: هَذَا الذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ اذْهَبْ فَأَذِّنْ لأَهْلِ مَكَّـةَ، فَمَسَـحَ عَلَـى نَاصِيَتِي وَقَال: قُلْ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ000إلى أن قال: وَإِذَا أَذَّنْتَ بِالأَوَلِ مِنْ الصُّبْحِ فَقُلْ الصلاةُ خَيْرٌ مِنْ النَّوْمِ الصلاةُ خَيْـرٌ مِنْ النَّوْمِ، وَإِذَا أَقَمْتَ فَقُلْهَا مَرَّتَيْنِ قَدْ قَامَتْ الصلاةُ قَدْ قَامَتْ الصَّلاةُ أَسَمِعْتَ؟ قَال: وَكَانَ أَبُـو مَحْـذُورَةَ لا يَجُـزُّ نَاصِـيَتَهُ وَلا يُفَرِّقُهَـا لأَنَّ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم مَسَحَ عَلَيْهَا [126].

---

[125] مسند الشافعي - (1 / 265) .

[126] مسند أحمد (30 / 391) .

والشاهد في هذا الحديث أن أبا محذورة لم يكن يقص شعر رأسه لأن النبي صلى الله عليه وسلم مسه بيده الشريفة، تبركا بأثر يده الشريفة، وجاء في بعض الروايات ان شعره كان يجر على الأرض.

الإمام مالك بن أنس

سأل أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي الإمام مالكا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا عبد الله، أأستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدعو؟ أم أستقبل القبلة وأدعو؟ فقال له مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله عز وجل يوم القيامة.

قلت: أنبه هنا على نقطتين هما:

الأولى: هي خطأ ما يأمر به الجاحدون للاستغاثة الناس من استدبار الحجرة الشريفة عند دعائهم أثناء الزيارة.

الثانية: قول الإمام مالك وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم، يشير للحديث الذي يرويه الحاكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله: يا آدم و كيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلى أحب

---

[127] الشفا (35/2) وأورده الزرقاني في شرح المواهب والسمهودي في خلاصة الوفا في باب الزيارة، وابن حجر الهيتمي في الدر المنظم وقال: جاءت هذه الرواية لنا بالسند الصحيح ليس في إسنادها كذاب ولا وضاع.

الخلق إليك فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك[128].

إمامنا محمد بن إدريس الشافعي

ذكر ابن حجر أن الشافعي كان يزور قبر الإمام أبي حنيفة ويدعو عنده ويتشفع به، وكان يرسل إلى الإمام احمد ليرسل إليه بقميصه فبغسله ثم يستشفي بمائه وكان يكثر من زيارة الإمام رجاء بركته[129].

الإمام احمد بن حنبل

أخرج البيهقي في الشعب عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: حججت خمس حجج منها اثنتين راكبا، وثلاث ماشيا، فضللت الطريق في حجة وكنت ماشيا فجعلت أقول: يا عباد الله دلوني على الطريق فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق فلح[130].

وقال الذهبي: قال عبد الله بن احمد: رأيت أبي (يعني الإمام احمد) يأخذ شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فيضعها على فيه ويقبّلها، وأحسب أني رأيته يضعها على عينه، ويغمسها في الماء ويشربه يستشفي به.

---

[128] المستدرك (4 / 31) دلائل النبوة للبيهقي - (6 / 118) المعجم الأوسط للطبراني - (14 / 268) .

[129] الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان ص94 .

[130] الحبائك في أخبار الملائك (1 / 34)

ورأيته أخذ قصعة النبي، صلى الله عليه وسلم فغسلها في حب الماء، ثم شرب فيها ورأيته يشرب من ماء زمزم يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه.

الحافظ الذهبي

قال الذهبي معلقا على هذه الرواية: قلت: أين المتنطع المنكر على أحمد، وقد ثبت أن عبدالله سأل أباه عمن يلمس رمانة منبر النبي، صلى الله عليه وسلم، ويمس الحجرة النبوية، فقال: لا أرى بذلك بأسا، أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع [131].

حجة الإسلام أبو حامد الغزالي

قال في الإحياء: القسم الثاني من آداب السفر: وهو أن يسافر لأجل العبادة إما لحج أو جهاد، وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه وأعماله الظاهرة والباطنة في كتاب أسرار الحج، ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام، وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء، وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام " لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى " لأن ذلك في المساجد، فإنها متماثلة بعد هذه المساجد، وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء في أصل الفضل، وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند اللّه .

---

[131] سير أعلام النبلاء (212/11) .

وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات، والفائدة من زيـارة الأحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر إلـيهم، فـإن النظـر الى وجـوه العلماء والصلحاء عبادة، وفيه أيضاً حركـة للرغبـة في الإقتـداء بهـم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم، هذا سوى ما ينتظر من الفوائـد العلميـة المستفادة من أنفاسهم وأفعالهم، كيف ومجرد زيـارة الأخـوان في اللّـه فيه فضل؟000□لح لج.

الحافظ يعقوب بن سفيان الفسوي

قال رحمه الله: كنت في رحلتي الحديث، فـدخلت إلى بعـض المـدن، فصادفت بها شيخا، احتجت إلى الإقامة عليه للاستكثار عنه، وقلـت نفقتي وبعدت عن بلدي، فكنت أدمن الكتابة ليلا، وأقرأ عليه نهـارا، فلما كان ذات ليلة، كنت جالسا أنسخ، وقد تصرم الليل، فنـزل المـاء في عيني، فلم أبصر السراج ولا البيت، فبكيت على انقطاعي، وعلـى ما يفوتني من العلم، فاشتد بكائي حتى اتكـأت علـى جـنبي، فنمـت، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فناداني، يـا يعقـوب بـن سفيان لم أنت بكيت ؟ فقلت: يا رسول الله ذهب بصري، فتحسـرت على ما فاتني من كتب سنتك، وعلى الانقطاع عن بلدي، فقـال: أدن مني، فدنوت منه، فأمرّ يده علـى عـينيّ كأنـه يقـرأ عليهمـا قـال: ثـم اسـتيقظت فأبصـرت، وأخـذت نسـخي وقعـدت في السـراج أكتـب لح لح لج.

---

[132] إحياء علوم الدين (247/2) .

[133] سير أعلام النبلاء للذهبي (181/13) .

الحافظ احمد بن حجر

قال الحافظ عند سياقه لحديث استسقاء عمر بالعباس عَـنْ أَنَـس قَال " جَاءَ رَجُل أَعْرَابِيّ إِلى النَّبِـيّ صَـلى الله عَلَيْـهِ وَسَـلم فَقَـال : يَـا رَسُول الله ، أَتَيْنَاك وَمَا لنَا بَعِير يَئِطّ، وَلا صَبِيّ يَغِطّ . ثُمَّ أَنْشَدَهُ شِعْرًا يَقُول فِيهِ :

وَلَيْسَ لنَا إِلا إِلَيْك فِـرَارنَا وَأَيْنَ فِرَار النَّاس إِلا إِلى الرُّسُل

فَقَامَ يَجُرّ رِدَاءَهُ حَتَّى صَعِدَ المِنْبَر فَقَال " اللهُمَّ اِسْقِنَا " الْحَـدِيث وَفِيـهِ " ثُمَّ قَال صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلم : لوْ كَانَ أَبُو طَالِب حَيًّـا لقَـرَّتْ عَيْنَـاهُ، مَنْ يَنْشُدنَا قَوْله ؟ فَقَامَ عَلِيّ فَقَال: يَا رَسُول الله، كَأَنَّك أَرَدْت قَوْله "

وَأَبْيَض يَسْتَسْقِي الْغَمَام بِوَجْـهِهِ ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال: وإسناد أنس وإن كان فيه ضعف لكنه يصلح للمتابعة[134] .

وللحافظ ابن حجر ديوان شعر قال فيه قصيدة يتوسل فيهـا بـالنبي صلى الله عليه وسلم، منها:

نبيَّ الله يـا خير البرايـــــا بجـاهك أتقي فصل القضاء
وأرجو يـا كريمُ العفوَ عمـــا جنـته يــداي يا رب الحباء
فكعب الجود لا يُرضى فـداء لنعلك وهو رأسٌ في السخاء
وسن بمدحك ابن زهير كعب لِمثلـــي منك جائـزة الثـناء

---

[134] فتح الباري (495/2) .

فقـل يا احْمد بن علي اذهب إلـى دار النعيم بلا شـــقاء
فإن أحزن فمدحك لي سروري وإن أقنط فحمدك لي رجائي

هذا هو الحافظ المتقن احمد بن علي ابن حجر يستغيث بالنبي صـلى الله عليه وسلم لدخول الجنة، وأن ينجو من أهوال الموقـف، ومغفـرة الذنوب، وهذه الأمور لا تطلب إلا من الله وحده.

ابن الحاج محمد العبدري:

قال ابن الحاج وهو من علماء المالكية: فَـإِنْ كَـانَ المَيِّـتُ المـزَارُ مِمَّـنْ تُرْجَى بَرَكَتُهُ فَيَتَوَسَّلُ إلى اللهِ تَعَالى بِهِ، وَكَذَلِكَ يَتَوَسَّلُ الزَّائِرُ بِمَنْ يَـرَاهُ المَيِّتُ مِمَّنْ تُرْجَى بَرَكَتُهُ إلى النَّبِـيِّ صَـلى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلم، بَـلْ يَبْـدَأُ بِالتَّوَسُّلِ إلى اللهِ تَعَالى بِالنَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم، إذْ هُوَ الْعُمْدَةُ فِـي التَّوَسُّلِ، وَالأَصْلُ فِي هَذَا كُلِّهِ، وَالمشَرَّعُ لهُ فَيَتَوَسَّلُ بِهِ صَلى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلم وَبِمَنْ تَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ إلى يَوْمِ الدِّينِ، ثُمَّ يَتَوَسَّلُ بِأَهْلِ تِلْكَ المقَابِرِ أَعْنِي بِالصَّالِحِينَ مِنْهُمْ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَمَغْفِـرَةِ ذُنُوبِـهِ، ثُـمَّ يَـدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدِيهِ وَلمشَـايخِهِ وَلأَقَارِبِـهِ وَلأَهْـلِ تِلْـكَ المقَـابِرِ وَلأَمْـوَاتِ المسْلمينَ وَلأَحْيَائِهِمْ وَذُرِّيَّـتِهِمْ إلى يَـوْمِ الـدِّينِ، وَلمـنْ غَـابَ عَنْـهُ مِـنْ إخْوَانِه، وَيَجْأَرُ إلى اللهِ تَعَالى بِالدُّعَاءِ عِنْدَهُمْ وَيُكْثِـرُ التَّوَسُّـل بِهِـمْ إلى اللهِ تَعَالى؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى اجْتَبَاهُمْ وَشَرَّفَهُمْ وَكَرَّمَهُم، فَكَمَـا نَفَـعَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا فَفِي الآخِـرَةِ أَكْثَـرُ، فَمَـنْ أَرَادَ حَاجَـةً فَلْيَـذْهَبْ إلـيْهِمْ وَيَتَوَسَّلُ بِهِمْ، فَإِنَّهُمْ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ اللهِ تَعَـالى وَخَلْقِـهِ، وَقَـدْ تَقَـرَّرَ فِـي الشَّرْعِ وَعُلم مَا لِلهِ تَعَالى بِهِمْ مِنْ الاعْتِنَاءِ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ مَشْهُورٌ ، وَمَـا

زَال النَّـاسُ مِـنْ الْعُلمـاءِ وَالأكَـابِرِ كَـابِرًا عَـنْ كَـابِرٍ مَشْـرِقًا وَمَغْرِبًـا يَتَبَرَّكُونَ بِزِيَارَةِ قُبُورِهِمْ وَيَجِدُونَ بَرَكَةَ ذَلِكَ حِسًّا وَمَعْنًى برلح لج.

الإمام أبو عبدالله بن النعمان

قال الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ: تَحَقَّقَ لِذَوِي الْبَصَـائِرِ وَالاعْتِبَـارِ أَنَّ زِيَـارَةَ قُبُـورِ الصَّـالِحِينَ مَحْبُوبَـةٌ لِجْـلِ التَّبَـرُّكِ مَـعَ الاعْتِبَـارِ، فَـإِنَّ بَرَكَـةَ الصَّالِحِينَ جَارِيَةٌ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ كَمَا كَانَتْ فِي حَيَاتِهِمْ برلح لج

شيخ الإسلام السبكي (علي بن عبد الكافي)

قال السبكي رحمه الله: اعلم أنه يجوز ويحسـن التوسـل والاسـتغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه عز وجل، وجـواز ذلـك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعـل الأنبيـاء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، والعلماء والعوام مـن المسـلمين، والتويل بالنبي صلى الله عليه وسـلم جـائز في كـل حـال قبـل خلقـه وبعده في مدة حياته وبعد موته في البرزخ، وبعد البعـث في عرصـات القيامة والجنة وهو على ثلاثة أنواع:

أن يتوسل به صلى الله عليه وسلم، بمعنى أن طالـب الحاجـة يسـأل الله به أو بجاهه أو ببركته فيجوز ذلك في الأحـوال الثلاثـة، وقـد ورد في كل منها خبر صحيح ولا فرق في المعنـى بـين أن يعـبر عنـه بلفـظ التوسل أو الاستغاثة أو التشفع، والداعي بذلك متوسل بالنبي صـلى الله عليه وسلم لأنه جعله وسيلة لإجابة الدعاء، ومستغيث بـه عليـه

---

[135] المدخل (254/1) .

[136] سَفِينَةِ النَّجَاءِ لأهْلِ الالْتِجَاءِ باب كَرَامَاتِ الشَّيْخِ أَبِي النَّجَاءِ .

الصلاة والسلام لأنه استغاث الله به على ما يقصده، واستشفع به لأنه سال الله بجاهه 00 [137].

قلت: قول السبكي رحمه الله: طالب الحاجة يسأل الله به أو بجاهه أو ببركته فيجوز ذلك في الأحوال الثلاثة، وقد ورد في كل منها خبر صحيح يشير إلى الأول بحديث الأعمى، والثاني حديث توسل أبينا آدم وتخريجه في هذا الباب عند كلام الإمام مالك، والثالث حديث استسقاء الصحابة بقبره الشريف الذي رواه الدارمي عن أبي الجوزاء انظره في باب المدد النبوي في البرزخ.

الشهاب الرملي

سئل العلامة الشهاب الرملي عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد: يا شيخ فلان ونحو ذلك فأجاب: إن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، والعلماء والصالحين جائزة، وللرسل والأنبياء والأولياء إغاثة بعد موتهم، لأن معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بعد موتهم، أما الأنبياء فهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت بذلك الأخبار، فتكون الإغاثة منهم معجزة لهم، والشهداء أحياء شوهدوا جهارا نهارا يقاتلون الكفار، وأما الأولياء فهي كرامة لهم [138].

---

[137] شفاء السقام ص160 .

[138] فتاوى الرملي (6/ 274):باب تفضيل البشر على الملائكة .

العلامة السيد السمهودي

قال رحمه الله: إن الاستغاثة والتشفع به وبجاهه وبركته صلى الله عليه وسلم من سنن المرسلين وسير السلف الصالحين، واقعا في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه وفي حياته الدنيوية ومدة البرزخ وعرصات القيامة، وذكر كثير من علماء المذاهب الأربعة في كتب المناسلك عند ذكرهم زيارة التبي صلى الله عليه وسلم أنه يسن للزائر أن يستقبل القبر الشريف ويتوسل إلى الله تعالى في غفران الذنوب وقضاء الحوائج، ويستشفع به إلى ربه، ثم ساق رواية أبي الجوزاء وقصة العتبي المشهورتين، وأطال النفس في ذلك فليراجعه من شاء[شملح لج].

الحافظ احمد بن القسطلاني

قال رحمه الله: وأما التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد موته فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء، ولقد حصل لي داء أعيا دواؤه الأطباء أقمت به سنين، فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة 28 جمادى الأولى سنة 893 هـ بمكة زادها الله شرفا، ومنّ عليّ بالعودة في عافية بلا محنة، فبينا أنا نائم إذ رجل معه قرطاس يكتب فيه: هذا دواء لداء احمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف، فلم أجد والله شيئا مما كنت أجده.

ووقع لي أيضا سنة 855 هـ في طريق مكة بعد رجوعي من زيارة القبر الشريف لقصد مصر أن صرعت خادمتنا غزالة الحبشية

---

[139] خلاصة الوفا ص1371.

واستمرت أياما، فاستشفعت بالنبي صلى الله عليه وسلم فأتاني آت في منامي ومعه الجني الصارع لها فقال: هذا أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاتبته وحلفته أن لا يعود إليها، ثم استيقظت وليس بها قُلبة كأنما نشطت من عقال.

وأما التوسل به صلى الله عليه وسلم في عرصات القيامة مما قام به الإجماع وتواترت به الأخبار في حديث الشفاعة، فعليك أيها الطالب إدراك السعادة الموصلة لحسن الحال في حضرة الغيب والشهادة، بالتعلق بأذيال عطفه وكرمه، والتطفل على موائد نعمه والتوسل بجاهه الشريف، والتشفع بقدره المنيف، فهو الوسيلة لنيل المعاني واقتناص المرام، والمفزع يوم الجزع لكافة الرسل الكرام، واجعله أمامك فيما نزل بك من النوازل لخ .

شهاب الدين الخفاجي

قال رحمه الله: المراد بالوسيلة السبب، وهو كل ما يوصل إلى إجابة الدعاء، وكنى بذلك عن جميع الناس، أي وهو الشفيع المشفع المتوسل به إلى الله يوم القيامة، إشارة لحديث الشفاعة العظمى، وإلى ما ورد من أن الدلعي إذا قال: اللهم إني أتوسل إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد اشفع لي عند ربك استجيب له، فاستقبله بقلبك في دعائك واستشفع به إلى الله فيشفعه الله فيك ويقبل دعائك لخ .

---

[140] المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (418/3) .

[141] نسيم الرياض بشرح شفاء القاضي عياض (398/3) .

مُلاّ علي القاري

قال رحمه الله: ورؤي ابن عمر رضي الله عنهما واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم وهي موضع قعوده من المنبر، ثم وضعها على وجهه.

وعن العتبي رضي الله عنه قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا المسجد من عامة الناس حسّوا ومسّوا رمانة المنبر، أي العقدة المشابهة للرمانة التي تلي القبر والتي كان صلى الله عليه وسلم يأخذها بميامنه وتمسحوا بها طلبا لليمن والبركة في زيادة الإيمان وإيقان الإحسان □الخ لج.

محمد بن علي الشوكاني

قال رحمه الله: أما التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأحد من خلقه في مطلب العبد من ربه، فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: أنه لا يجوز التوسل إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم إن صح الحديث فيه، ولعله يشير إلى الحديث الذي رواه النسائي في سننه والترمذي، وصححه ابن ماجة وغيرهم أن أعمى أتى النبي صلى الله عليه وسلم000 ثم ذكر الحديث وللناس في هذا المعنى قولان:

أحدهما: أن التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال: كنا إذا أجدبنا توسلنا بنبينا فتسقينا، فقد ذكر عمر أنهم كانوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته في الاستسقاء، ثم توسل عمر بالعباس

---

[142] شرح الشفا بهامش نسيم الرياض (518/3) .

بعد موته، وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه، فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالى، والنبي صلى الله عليه وسلم كان في مثل هذا شافعا وداعيا.

والقول الثاني: أن التوسل به صلى الله عليه وسلم يكون في حيلته وبعد موته وفي حضرته وفي مغيبه بإجماع الصحابة إجماعا سكوتيا لعد إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في توسله بالعباس رضي الله عنه، وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم لأمرين:

أحدهما: ما عرفناك به من إجماع الصحابة رضي الله عنهم.

ثانيهما: إن التوسل بأهل الفضل في التحقيق هو توسل بأعمالهم ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون فاضلا إلا بأعماله، فإذا قال القائل: اللهم إني أتوسل بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العمل كما ثبت في الصحيحين عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة[143].

الحافظ ابن كثير

قال رحمه الله بجواز التوسل والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن من كتبه، واستشهد ببعض الآثار دليل قوله واعتقاده بمشروعيته واستحبابه لكل مسلم، فقد ذكر في:

---

[143] الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ص 16.

* تفسيره للآية رقم (64) من سورة النساء **(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)** قصة العتبي المشهورة مع الأعرابي.

* ذكر حديث توسل أبينا آدم عليه الصلاة والسلام في البداية والنهاية (1/ 180) وأقره.

* كما ذكر قصة الرجل الذي جاء زائرا قبر النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته بثلاثة أيام، ورمى بنفسه على القبر الشريف، وأخذ من ترابه وحثاه على رأسه في البداية والنهاية (1/ 91) .

* وذكر عند كلامه على حرب المرتدين أن شعار المسلمين كان يوم اليمامة (وامحمداه) وأن سيدنا خالد بن الوليد عندما هاجم جموعهم صاح: يا محمداه .

أبو عبد الله القرطبي

أورد رحمه الله في تفسيره للآية الشريفة رقم (64) من سورة النساء قصة الأعرابي وهي: روى أبو صادق عن علي قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على القبر الشريف وحثا على رأسه من ترابه وقال: قلتَ يا رسول الله فسمعنا قولك، ووعيت عن الله فوعينا عنك، وكان فيما نزل عليك **(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ**

وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر الشريف أن قد غُفر لك.

قلت: هذه الرواية ذكرها كثير من العلماء في كتبهم مقرين لها، منهم: البيهقي[144] والنسفي[145] وابن قدامة[146] والعز بن جماعة[147] وابن الجوزي[148] والصالحي[149] وأبو اليمن بن عساكر[150] وابن النجار[151] وابن حجر الهيتمي[152].

---

[144] شعب الإيمان (495/3) رقم (4187) .

[145] تفسير النسفي (234/1) .

[146] المغني (557/3) .

[147] هداية السالك (1383/3) .

[148] مثير الغرام الساكن (301/2) .

[149] سبل الهدى والرشاد (380/12) .

[150] إتحاف الزائر ص68 .

[151] الدرة الثمينة ص224 .

[152] تحفة الزوار ص55 .

الباب السادس
مناقشات وردود

مناقشات وردود

إن مما أبغيه من هذا الفصل هو تقديم النصح للذين تجرأوا على الله تعالى بالتقول عليه ما لم يقله، وتحريم ما شرعه الله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يقل به علماء الأمة على مر عصورها، حيث انتقصوا من مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحذروا الناس من الاستغاثة به، وزيارته في مدينته المباركة الطيبة، والاجتماع لسماع الموعظة من خلال سرد قصة مولده الشريف، وما في معنى هذا، مع أني لا اعتقد فيهم قبول نصيحة ناصح من غير جلدتهم، لأنهم لا يرون لغيرهم علما ولا فضلا، وإن ظهر الحق على يد غيرهم يتأولونه تأويلات فاسدة بغية التخلص من إقامة الحجة عليهم من غيرهم،

كما أقصد إظهار الحق، فمن أراد الحق تبعه، ومن لم يرد الحق فهو كما قال الله تعالى لنبيه في يهود: **(وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ)** وهؤلاء يكفيهم حرمانا:

وكم من عائب ليلى ولم ير وجهها فقال له الحرمان حسبك ما فات

إن المانعين للاستغاثة وما في معناها كتعظيمه صلى الله عليه وسلم يرون أن ذلك تعظيم لا ينبغي إلا لله وحده، وهو عندهم مزاحمة

للربوبية المفضية إلى الشرك، وهذا برأيهم هو الإطراء الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم بقوله: لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ[153] :

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

فآفتهم في ذلك الفهم السقيم والسطحية التي قبعوا عليها في فهم النصوص القرآنية والنبوية، فقد فهموا من أن المقصود من وضع المصلي كف يمينه على كوع شماله أن الكوع هو ما يفهمه العامة من الناس أنه المرفق، فترى أحدهم يقف في الصلاة وكأنه يحتضن شيئا بين يديه، ولم يعرفوا أن الكوع هو العظم الذي بجانب الرسغ مما يلي الإبهام، وكذلك فهموا من قوله تعالى (فصل لربك وانحر) هو وضع اليدين على النحر مما يلي العنق، كما فهموا من الحديث الشريف الذي رواه احمد عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كَانَ النبي صلى الله عليه وسلم إِذَا قَامَ إِلى الصَّلاةِ المكْتُوبَةِ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ وَيَصْنَعُ مِثْل ذَلِكَ إِذَا قَضَى قِرَاءَتَهُ وَأَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ وَيَصْنَعُهُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرُّكُوعِ وَلا يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ صَلاتِهِ وَهُوَ قَاعِدٌ، وَإِذَا قَامَ مِنْ السَّجْدَتَيْنِ رَفَعَ يَدَيْهِ كَذَلِكَ وَكَبَّرَ[154] ففهموا من قوله: وإذا قام من السجدتين رفع يديه وكبر، أن رفع اليدين من حالة الجلوس، فتراهم يرفعون أيديهم حذو مناكبهم وهم جلوس ويكبرون ثم يقومون، للركعة الثالثة، علما أن النص واضح بأن

---

[153] صحيح البخاري برقم (3189) .

[154] رواه احمد من مسند علي.

التكبير ورفع اليدين إنما يكون إذا قام، فلم يفرقوا بين القيام والقعود.

وإنما نبهت على مثل هذه الأمور البسيطة لسهولة فهم المقصود منها ابتداء، ومع ذلك فهموها فهما مغايرا لما فهمه الناس، فإذا كانوا جاهلين بأعضاء أجسامهم فلم يفرقوا بين الكوع منهم والبوع فهم في غيرها أجهل، وقديما قالوا: إن الجاهل هو الذي لا يعرف كوعه من بوعه، فلذلك من كان في مثل هذا المستوى أيأخذ منه حكم شرعي؟؟

أن السواد الأعظم من المسلمين وفي مقدمتهم علماء المذاهب يرون خطأ ما ذهب إليه هؤلاء، من أن تعظيم الأنبياء والأولياء هو عبادة لهم، لأن المشركين كانوا يأتون تلك الأعمال بنية العبادة لمن اعتقدوا فيهم شيئا من صفات الربوبية، والتقرب إليها لكونها عندهم مستقلة بالضر والنفع والجلب والدفع، وقد صرحت بذلك الآيات الكثيرة كقوله تعالى على لسان الكفار **(إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)** فهذه الآيات تكشف سوء نوايا المشركين في اعتقادهم أن هذه الآلهة تضر وتنفع، وتنصرهم إذا استنصروا بها، وتكشف عنهم السوء، فلذلك أقام الله تعالى الحجة عليهم فقال: **(قُلِ ادْعُوا الذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلا)** فمن اعتقد بهؤلاء الآلهة ضرا أو نفعا فهو عابد لها، أما أهل التوحيد من المسلمين فلا يعتقدون فيها شيئا، وإنما جعلهم للأنبياء والأولياء وسائط فيما بينهم وبين الله لأجابة الدعاء مع اعتقادهم أن الله هو المستقل بالجلب

والدفع والضر والنفع، فلما تمايزت النيات والوسائط بينهم وبين الكفار مدحهم الله تعالى بعد هذه الآية مباشرة فقال: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) فوسائط المشركين هي أصنامهم، ووسيلة المؤمنين هي أنبياؤهم وأولياؤهم، ونية الكافرين هي اعتقادهم أن هذه الأصنام تضر وتنفع، لذلك تقربوا إليها بالعبادة والذبح والنذر وغير ذلك من صنوف العبادة، أما نية المؤمن هي اعتقاده أن النبي أو الولي لا يضر ولا ينفع استقلالا من دون الله، فالفرق واضح بين الفريقين.

قولهم: بجواز الاستغاثة بالأحياء دون الأموات

لما رأى هؤلاء أن من العمل ما يعتبر شركا ومنه ما لا يعتبر شركا، وأن من الاستغاثة ما يعتبر شركا ومنه ما لا يعتبر فتشوا عن ضوابط لما يصل لدرجة الشرك وما لا يصل إليه، وبناء على ضوابطهم أجازوا منه ما كان لحي حاضر فيما يقدر عليه، ومنعوا منه ما كان لغائب أو ميت، وبناء على حكمهم هذا فهم يتبعون مذهب المعتزلة القائل: أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة خلقها الله فيه، أما أهل السنة فيقولون: إن الله خالق للعبد ولفعله، لذلك أعتبر أن إنكارهم على أهل السنة إنما هو لمخالفتهم لهم في العقيدة.

قال الغزالي: وذهبت المعتزلة إلى إنكار تعلق قدرة الله تعالى بأفعال العباد من الحيوانات والملائكة والجن والإنس والشياطين، وزعمت أن جميع ما يصدر منها (أي الأفعال) من خلق العباد واختراعهم لا قدرة لله تعالى عليها بنفي ولا إيجاب، فانظر الآن إلى أهل السنة كيف

وفقوا للسداد ورشحوا للاقتصاد في الاعتقاد فقالوا: القول بالجبر محال باطل، والقول بالاختراع اقتحام هائل، وإنما الحق إثبات القدرتين على فعل واحد [155].

قال الإمام الباقلاني: ويجب أن يُعلم أن الحوادث كلها مخلوقة لله تعالى، نفعها وضرها، إيمانها وكفرها، طاعتها ومعصيتها، والدليل على ذلك قوله تعالى: **(وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)** وأيضاً فإن الله تعالى رد على الكفار لما ادعوا معه شركاء في الاختراع فقال تعالى: **(أَمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)** وقال تعالى: **(هُوَ الذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)** فأخبر تعالى أنه خالق لسيرنا وهي الحركات والسكنات، وقال تعالى: **(هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ)** وقال النبي صلى الله عليه وسلم: الله خالق كل صانع وصنعته [156] وأجمعت الأمة على القول: بأن لا خالق إلا الله في الدارين، كما أجمعوا أن لا إله غيره.

(مسألة) ويجب أن يعلم أن الحوادث كلها تقع مرادة لله تعالى، وأنه لا يتصور أن يوجد في الدنيا والآخرة شيء لم يرده تعالى؛ من نفع وضر، ورزق، وأجل، وطاعة ومعصية، إلى غير ذلك من سائر الموجودات [157].

---

[155] الاقتصاد في الاعتقاد (1 / 27) .

[156] شعب الإيمان للبيهقي (1 / 209) .

[157] الإنصاف للباقلاني (1 / 13) .

لذلك فهم يعتقدون أن العبد المستغاث به قادر على النفع والضر ما دام في الدنيا، وأما إذا غاب فلا، وقد جهلوا أن هذا الاعتقاد ربما يخرج من الملة، بل صرح أهل السنة أن من أثبت لغير فعلا فهو خارج من الملة مشرك بالله تعالى لنسبته الخلق لغير الله، قال ابن قدامة الحنبلي: القدرية لقبوا بذلك لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم، وإنكارهم القدر فيها، وهذا يقتضي إثبات خالق لأفعال العباد غير الله سبحانه وتعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدرية: الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّة، إِنْ مَرِضُوا فَلا تَعُودُوهُم، وَإِنْ مَاتُوا فَلا تَشْهَدُوهُمْ[158] وعَنْ حُذَيْفَةَ قَال: قَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم: لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوس، وَمَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ الذِينَ يَقُولُون: لا قَدَر، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلا تَشْهَدُوا جَنَازَتَه، وَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلا تَعُودُوهُم، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّال، وَحَقٌّ عَلى اللهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِالدَّجَّال[159].

فثبت من هذه النصوص أن من أثبت فعلا لغير الله تعالى فهو قدَري، والقدرية مجوس هذه الأمة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[158] لمعة الاعتقاد (1 / 32) .

[159] سنن أبي داود (12 / 302) .

[160] سنن أبي داود – (12 / 303) .

قلت: إنما شبههم بالمجوس لأن المجوس ينسبون بعض التقدير إلى "يزدان" وبعضهم ينسبونه إلى "أهرمن" وهو اسم الشيطان، فأثبتوا تقديرا في مقابلة تقدير الباري جل جلاله ﷻ.

قلت: وقد عد البغدادي القدرية فرقة من فرق المعتزلة[161] ﷻ.

إن أهل السنة وأعني بهم الأشاعرة والماتريدية يرون أنه لا متصرف ولا خالق ولا نافع ولا ضار إلا الله وحده، وأن المستغاث به إنما هو سبب من جملة الأسباب العادية، يسخره الله تعالى قد يكتب الله النفع على يديه وقد لا يكتب، والمتصرف حقيقة هو الله وحده، فلا معنى إذاً لحياة المستغاث به أو موته، حضوره أو غيبته ما دام أن المتصرف هو الله تعالى، وهو حي على الدوام لا يموت.

وثم شيء آخر يعتمدون عليه في إباحتهم للاستغاثة بالأحياء دون الأموات وهو: اعتقادهم أن الإنسان إذا مات أصبح غير قادر على النفع أو الدفع، وما ذاك إلا لفناء الروح عندهم، ولا يفرقون في ذلك بين نبي أو ولي وغيرهم من عوام المسلمين، والمستغاث به يجب أن يسمع ويبصر ويقدر، وهذا بزعمهم مستحيل من الميت.

وبيان ذلك أن عقيدة انعدام النفس البشرية لا تمت إلى الإسلام بصلة، فقد تقدم في الكلام على الشبهة الرابعة أنه جاء في التوراة: "لكل الأحياء يوجد رجاء، فإن الكلب الحي خير من الأسد الميت، لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون، أما الموتى فلا يعلمون

---

[161] التبصير في الدين (1 / 74) .

[162] الفرق بين الفرق ص26.

شيئا، وليس لهم أجر بعد، لأن ذكرهم نسي، ولا نصيب لهم بعدُ إلى الأبد في كل ما عُمل تحت الشمس.

وأما المسلمون فإنهم يعتقدون ما قرره الله لهم في القرآن وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من أن الموت إنما هو انتقال من دار إلى دار بانفصال الروح عن الجسم بوساطة ملك الموت، وهو انقطاع للتكليف الشرعي، وقد صنف عدد من العلماء الأجلاء تصانيف قيمة في هذا الموضوع، منهم: الحافظ البيهقي في حياة الأنبياء، وابن القيم في الروح، والحافظ السيوطي في شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، والتذكرة للقرطبي وغيرهم.

وجوهر الكلام: أن ألأموات قادرون على التصرف وتقديم النفع للأحياء بأكثر مما كانوا عليه في الدنيا، وذلم لتجرد الروح عن عوائق البدن التي كانت تعيقها في حال الحياة الدنيا، وهي كالسيف تجرد من غمده، وأن للأنبياء ولسائر الموتى جميع الإدراكات كالسمع والبصر، والعلم والقدرة والكلام، وقد أوردوا الشواهد على ذلك من صحيح الأحاديث والأدلة العينية التي شاهدها الكثير، وثبتت من طريق التواتر لكل طبقة حتى يومنا هذا، فإذا تبين فساد ضوابطهم بالجواز والمنع فلا فرق إذاً بين حياة المستغاث به أو موته، قربه أو بعده، سمع وأبصر أم لا.

المقياس النبوي لمعرفة الخطأ من الصواب

إن هذا الميزان وضع لمن ليست له الأهلية العلمية، والكفاءة والمؤهلات التي يستطيع من خلالها سبر غور النصوص، ومعرفة ما وراء اللفظ الظاهر، واستخراج ما كمن فيها من أحكام شرعية، لذا

فهو ميزان بسيط الاستعمال، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك الضعفاء من أمته هملا جهالا يتبعون كل ناعق دون أن يبصرهم بالطريق السوي الذي يؤدي بهم إلى اللحوق به وأصحابه.

وهذا الميزان هو: إذا أجمع علماء الأمة على شيء كان ما خالفهم هوى وضلالة، فقد روى غير واحد أن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة أبدا، وقد روي هذا الحديث بألفاظ مختلفة منها:

ما رواه الحاكم عن قدامة بن عبد الله بن عمار الكلابي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: عليكم باتقاء الله والجماعة فإن الله تعالى لا يجمع هذه الأمة على الضلالة[163].

وروى ابن ماجه عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قال: سَمِعْتُ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم يَقُولُ: إِنَّ أُمَّتِي لا تَجْتَمِعُ عَلى ضَلالة، فَإِذَا رَأَيْتُمْ اخْتِلافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ[164].

وروى الخطيب البغدادي عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بالجماعة واتبعوا السواد الأعظم، فإنه من شذ، شذ في النار[165].

وروى الحاكم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبدا وقال: يد الله على الجماعة، فاتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذ، شذ في النار.

---

[163] المستدرك (7 / 89) .

[164] سنن ابن ماجه (11 / 442).

[165] المتفق والمفترق (3 / 113).

والمراد بالسواد الأعظم هم علماء المذاهب الأربعة في الفقه ومقلديهم، والأشاعرة والماتريدية في العقيدة، وأتباع الجنيد في السلوك، لأن هؤلاء هم السواد الأعظم على مر العصور المتعاقبة، وهم الذين ملئوا الدنيا شرقا وغربا.

وقد ناقش أحدهم عالما من علماء الأشاعرة بأنه وأهل نحلته هم أهل السنة، وهو الفرقة الناجية، لأنهم يتبعون السلف، ولهم اعتناء بالحديث، فأجابه، كم عددكم الآن؟ قال: لا أدري، غير أننا لا نتجاوز الآلاف، فقال له العالم: أنتم بزعمكم الموحدون فقط، وغيركم يتخبط في الشرك والوثنية، قال: نعم، فقال العالم: فسر لي إذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن لله عز وجل في كل يوم من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار، كلهم قد استوجبوا النار، فإذا كان آخر يوم من شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بقدر ما أعتق من أول الشهر إلى آخره ﷺ أليس هذا الإعتاق من الموحدين؟ قال: بلى، قال: إذا أنتم الآن لم توفا عتق ليلة واحدة، فمن أين يكمل الله هذا العدد باقي الشهر؟؟؟

ولا شيء إلا وهو به منوط

نرى في العرف العسكري أن الملك إذا أنعم على أحد جنده برتبة عسكرية أولاه مرسوما بذلك، وهو ما يسمى (بالبراءة الملكية) حيث يكون المرسوم موجها إليه شخصيا، وممهورا بتوقيع الملك، وفيه من

---

[166] المستدرك (1 / 160) .

[167] رواه البيهقي في الشعب باب: ما جزاء الأجير إذا عمل.

عبارات التكريم ما يشعره أنه في محل المسؤولية، وموضع الثقة الملكية، فلا يزال هذا الجندي يعمل في خدمة الملك متفانيا في طاعته حتى يثبت للملك إخلاصه وولاؤه، فيقلده منصبا رفيعا في مملكته، ويخوله الاطلاع على الكتب الرسمية والمكتومة، حيث أنه أصبح في محل المسؤولية، فيقلده بعدها الشارة الحمراء التي تكون على جانبي العنق، وهي ما تسمى (بالكفاءة القيادية) فإذا ما تم له الأجل المضروب رقاه إلى أعلى رتبة في جيشه وأولاه قيادة الجيش، وأولاه من النعم ما يليق به، وقلده من الأوسمة ما يستحق، وأعطاه صلاحيات مطلقة في التصرف وما يليق في جيشه، فيعتبر حينئذ طاعته هي عين طاعة الملك، وأمره هو عين أمر الملك، ويعد الخروج عن طاعته خروجا عن طاعة الملك، وهذا المثال الذي ضربته في الحس إنما هو تقريب للعقل لنتعرف من خلاله على الرتبة الرفيعة التي تقلدها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في المملكة الربانية، فقد جعله الله نائبا عنه فقال: **(إِنَّ الذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم)** وجعل كلامه في فمه فقال: **(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى)** وجعل مخالفة أمره تمردا على القانون الإلهي فقال: **(فَلْيَحْذَرِ الذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم)** وفرض تعظيمه على المؤمنين فقال: **(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا)** وأمرنا بحسن الأدب معه فقال: **(لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا)** وحرم علينا رفع الصوت بحضرته فقال: **(يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ**

النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولئِكَ الذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) وصلى عليه بنفسه، وأشرك ملائكته بهذا التكريم وأمر المؤمنين بذلك فقال: **(إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلموا تَسْلِيمًا)** وأعلم المخلوقات كلها أنه ما أرسله إلا رحمة لهم فقال: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالمين)** وجعل الأنبياء والرسل من جملة رعيته، وأخذ الميثاق عليهم إن بعث وهم أحياء ليكونن من جملة أمته، حيث كانوا مبشرين بين يديه قبل بروزه، فلما تشرف الوجود ببعثته جمعهم الله تعالى له في بيت المقدس وآمنوا به وصدقوه وكما قال البوصيري:

وقدمتك جميع الأنبياء بها والر سل تقديم مخدوم على خدم

قال تعالى: **(وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لما مَعَكُمْ لتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَال أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَال فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ)** وعرج به إلى السماوات العلى حتى تتشرف السماوات وساكنوها بقدومه كما تشرفت به الأرض، ورفعه إلى سدرة المنتهى، ثم إلى قاب قوسين أو أدنى قال تعالى: **وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلى*فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى * فَأَوْحَى إِلى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى* أَفَتُمَارُونَهُ عَلى مَا يَرَى۞ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ**

مَا يَغْشَى* وكشف له تعالى عن وجهه الكريم حتى كحل ناظريه برؤيته فقال: **(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى)** وعده بأن سيعطيه حتى تقر عينه ويرضى بعطاء ربه وغير ذلك مما لا يحصى، ولا ينبغي لأحد من الخلق أن يعرف حقيقة ما أولاه ربه، لا أن يدركوا مقاما واحدا منها:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

فلذلك قالوا: ولا شيء إلا وهو به منوط، فأشكلت هذه العبارة على العقول القاصرة، وفُهم منها أمورا غير مقصودة ولا مرادة، ولا يتخيل وقوعها في ذهن مسلم أبدا، فمما أنيط به صلى الله عليه وسلم:

* إقطاع أرض الجنة لمن شاء، ومثل ذلك أرض الدنيا، فقد أقطع عليه الصلاة والسلام أرض حبرون "الخليل" من أرض فلسطين لتميم الداري ولعقبه من بعده، وكتب له بذلك كتابا: فقد جاء ذكر البرهان الحلبي وغيره في وفد الداريين فقال: وفد عليه قبل الهجرة الداريون أبو الهند الداري وتميم الداري وأخوه نعيم، وأربعة آخرون، وسألوا رسول الله أن يعطيهم أرضاً من أرض الشام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: سلوا حيث شئتم، قال أبو هند: فنهضنا من عنده نتشاور في أي أرض نأخذ؟ فقال تميم الداري رضي الله تعالى عنه: نسأله بيت المقدس وكورتهما، فقال أبو هند: هذا محل ملك العجم وسيصير محل ملك العرب، فأخاف أن لا يتمّ لنا، قال تميم: نسأله بيت حبرون وكورتها، فنهضنا إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم فذكرنا له، فدعا بقطعة من أدم وكتب لهم كتاباً نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للداريين إذا أعطاه الله الأرض وهب لهم بيت عينون وحبرون والمرطوم، وبيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى أبد الأبد، شهد بذلك عباس بن عبد المطلب، وخذيمة بن قيس، وشرحبيل ابن حسنة، وكتب: ثم أعطانا كتابنا، وقال: انصرفوا حتى تسمعوا أني قد هاجرت، قال أبو هند: فانصرفنا، فلما هاجر إلى المدينة قدمنا عليه وسألناه أن يجدد لنا كتاباً آخر، فكتب لنا كتاباً نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أنطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم الداري وأصحابه، إني أنطيكم بيت عينون وحبرون والمرطوم، وبيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت، وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد الأبد، فمن آذاهم آذاه الله، شهد بذلك أبو بكر بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب نقل ذلك في المواهب وأقره[168].

وقد أفتى الغزالي بكفر من عارضهم فيها، وقال: إنه صلى الله عليه وسلم يقطع أرض الجنة ما شاء منها لمن يشاء، فأرض الدنيا أولى، ونقله عن الغزالي ابن العربي وأقره، وأفتى بذلك ابن السبكي أيضا[169].

---

[168] السيرة الحلبية 3 /235 .

[169] انظر شرح المواهب للزرقاني (245/5) .

وأما أرض الجنة فقد أخرج ابن حبان عن جابر قال: مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة سبع سنين، يتتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة والمواسم بمنى، يقول: من يؤويني وينصرني حتى أبلغ رسالات ربي، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مصر فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله من يثرب، فآويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا ويؤمن به ويقرئه القرآن، وينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا فيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، ثم إنا اجتمعنا فقلنا: حتى متى نترك النبي صلى الله عليه وسلم يطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه بيعة العقبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين، حتى توافينا فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يقولها لا يبالي في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني وتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة، فقمنا إليه فبايعناه وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو من أصغرهم فقال: رويدا يا أهل يثرب، فإنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن إخراجه اليوم منازعة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف فإما أن تصبروا على ذلك وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم جبنا فبينوا ذلك فهو أعذر لكم، فقالوا: أمط

عنا فوالله لا ندع هذه البيعة أبدا، فقمنا إليه فبايعناه، فأخذ علينا، وشرط أن يعطينا على ذلك الجنة ﷺ .

ومن ذلك ما رواه مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَال لِي: سَل، فَقُلْت: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَال: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ قَال: فَأَعِنِّي عَلى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ ﷺ .

ومر صلى الله عليه وسلم على ياسر وزوجته سمية وابنه عمار وهم يعذبون فقال: صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة ﷺ .

ومما أنيط به صلى الله عليه وسلم إغاثة من استغاث به، وإمداد من شاء من أمته، فهذا سيدنا حنظلة الأسدي رضي الله عنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستغيثا: نافق حنظلة يا رسول الله 000وقد تكلمت على هذا الحديث في باب المدد في السنة النبوية تحت عنوان (نافق حنظلة) ومراجعته تغني عن إعادته.

وهذا المدد باق لم ينقطع بعد الموت، ولا نقص، والشاهد في ذلك سوى ما تقدم من آثار هو الاستقراء والمعاينة لكثير من الأمور التي قضيت كما أراد أصحابها وزيادة، ولو كان ذلك شركا أو أنه لا مدد بعد الموت لما وقعت، وهي كثيرة جدا يصعب حصرها واستقصاؤها

---

[170] صحيح ابن حبان – (26 / 86) .

[171] صحيح مسلم (353/1) باب فضل السجود.

[172] بغية الحارث (1 / 303) المعجم الكبير للطبراني –(18 / 40) دلائل النبوة للبيهقي (2 / 169) .

=========ا

من لدن عهد الصحابة إلى يومنا هذا وأوردها عدد من العلماء على مختلف العصور، ذكرت أسماء البعض منهم في المقدمة.

انقطاع الشركية المتوهمة

تصور المانعون للاستغاثة الشرك من كل مسلم خالف رأيهم ولو كان رأيا فرعيا من مسائل الفقه، فإذا صلى مؤذن على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان ورفع صوته بذلم وموه بالشرك والبدعة الضلالة، ومثل ذلك رفع الصوت بالذكر بعد المكتوبة، والاستغاثة بالأنبياء والأولياء، ومثل ذلك رفع قبور الصالحين، ويستندون في ذلك ببعض الأحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه مسلم عَنْ عَائِشَةَ قَالت: سَمِعْتُ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم يَقُولُ لا يَذْهَبُ اللَيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللاتُ وَالْعُزَّى فَقُلْت: يَا رَسُول اللهِ إِنْ كُنْتُ لأظُنُّ حِينَ أَنْزَل اللهُ{ هُوَ الذِي أَرْسَل رَسُولهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيظْهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ وَلوْ كَرِهَ المشْرِكُونَ }أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا قَال: إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ الله، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفَّى كُل مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَان، فَيَبْقَى مَنْ لا خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلى دِينِ آبَائِهِم[173] وقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه البخاري عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم قَال: لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلى ذِي الْخَلصَةِ[174] وَذُو الْخَلصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ التِي كَانُوا يَعْبُدُونَه فِي الْجَاهِلِيَّةِ بتبالة.

---

[173] صحيح مسلم - (14 / 110) برقم (2907) .

[174] صحيح البخاري - (22 / 15) .

فتوهم الشرك من مسلم موحد مخالفة للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به من أن هذه الأمة لن تعبد غير الله تعالى، ولا تشرك به الشرك الأكبر الذي يخرجهم من دائرة التوحيد، ولكن قد يقع منهم معاصي تصل إلى الكبائر، ولكن لا تصل بهم للخروج من الملة، ودليلنا على ذلك هو قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي عَنْ جَابِرٍ قَال: قَال النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المصَلُّونَ وَلكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ [175] وما رواه البيهقي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الشيطان قد يئس أن تعبد الأصنام بأرض العرب، ولكن سيرضى منكم بدون ذلك، بالمحقرات وهي الموبقات يوم القيامة، فاتقوا المظالم ما استطعتم، فإن العبد يجيء بالحسنات يوم القيامة وهو يرى أن ستنجيه، فما زال عبد يقوم يقول: يا رب ظلمني عبدك فلان بمظلمة قال: فيقول: امحوا من حسناته، قال: فيقول: فما زال كذلك حتى لا يبقى معه حسنة من الذنوب [176] وما رواه احمد عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أَنَّهُ بَكَى فَقِيل لهُ: مَا يُبْكِيكَ قَال: شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم يَقُولُهُ فَذَكَرْتُهُ فَأَبْكَانِي، سَمِعْتُ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم يَقُول: أَتَخَوَّفُ عَلى أُمَّتِي الشِّرْكَ وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ قُلْت: يَا رَسُول اللهِ أَتُشْرِكُ أُمَّتُكَ مِنْ بَعْدِك؟ قَال: نَعَمْ أَمَا إِنَّهُمْ لا يَعْبُدُونَ شَمْسًا وَلا قَمَرًا وَلا حَجَرًا وَلا وَثَنًا، وَلكِنْ يُرَاءُونَ

---

[175] سنن الترمذي - (7 / 183) .

[176] شعب الإيمان (15 / 311) .

بِأَعْمَالِهِم، وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ أَنْ يُصْبِحَ أَحَدُهُمْ صَائِمًا فَتَعْرِضُ لَهُ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِهِ فَيَتْرُكُ صَوْمَهُ ﷺ وما رواه البخاري عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَال صَلى رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم عَلى قَتْلى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالمودِّعِ لِلأحْيَاءِ وَالأمْوَات، ثُمَّ طَلَعَ المِنْبَرَ فَقَال: إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَط، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيد، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْض، وَإِنِّي لأنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا، قَال فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلى رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم ﷺ.

هذه الأحاديث الصحيحة أفادت أن الإشراك بالله تعالى الشرك الأكبر معدوم من هذه الأمة، ولكن يزين لهم الشيطان فيتنافسون في الدنيا، ويراءون في أعمالهم، وهذه الأعمال لا تخرجهم من دائرة التوحيد، ولكنها قد تحبط الأجر، نعم قد يحصل هذا من بعض أفراد المسلمين باعتناقهم مذاهب فاسدة، كعباد الشيطان الذي ظهر مؤخرا في بعض جامعاتنا، والسحرة وبعض الأحزاب الإلحادية، كل هؤلاء لا يمثلون السواد الأعظم من المسلمين، لأنهم قلة شاذة، والشاذ لا حكم له.

أما الأحاديث التي استشهدوا فيها على الشرك ليست الآن، وإنما هي آخر الزمن، بعد وفاة جميع الأنفس المؤمنة، وبعد خروج الدجال، ويثبت هذا ما في صحيح مسلم: يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ (شك الراوي) لا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ

---

[177] مسند أحمد (34 / 485) .

[178] صحيح البخاري – (12 / 436) باب غزوة أحد .

أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَة، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبَدِ جَبَلٍ لدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ قَال: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم قَال: فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحلامِ السِّبَاعِ، لا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلا يُنْكِرُونَ مُنْكَرا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ فَيَقُول: أَلا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ[179] وهم في ذلك دارّ رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا ثم ليرفعن أحدكم فلوته وليسقين بعطنه فليصعقن ويصعق الناس ثم يرسل أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل أو الظل نعمان الشاك فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسئولون قال ويقال أخرجوا بعث النار قال فيقال من كم كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار قال فذاك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق.

فهذه الأحاديث صريحة في انعدام الشرك من أمة الإسلام قبل نزول السيد المسيح عليه الصلاة والسلام.

خاتمة المطاف

إن المانعين للاستغاثة أخطأوا في فهم بعض الأمور التي قد تشترك بين مقامي الرب والعبد، وظنوا أن نسبتها إلى البشر شرك.

وأخطأوا في فهم التعظيم الذي يصدر من مسلم لنبيه صلى الله عليه وسلم، أو لأحد من عباد الله تعالى، يعتقد فيه الولاية، أو عالم أكرمه الله بزيادته بسطة في العلم الشرعي، فظنوا أن ذلك عبادة للمعظَّم .

وأخطأوا في فهم الأحاديث التي تنص على انعدام الشرك في هذه الأمة قبل ظهور الدجال، وقتله على يد المسيح عليه السلام.

---

[179] صحيح مسلم (4 / 2259) باب خروج الدجال .

وقادهم جهلهم بمعرفة اللغة من بيان وبديع وغيرهما من ضروب البلاغة لمنع كل لفظ يطلق على الله أن يوصف به أحد من البشر.

كما قادهم الجهل والتعصب بنفي خصائص اختص الله بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، فيستعظمونها عليه ويقيسونه بمقياس البشرية المجردة.

ونحن نقول: إن في الأمر سعة، واللغة العربية تتسع لوصف العبد ببعض صفات الربوبية، وينبغي حسن الظن بالمسلمين وتصور الأعمال التي تصدر منهم مخالفة للأعمال التي تصدر من المشركين، وإن تشابهوا في صورة الفعل، لأن الفيصل في ذلك هو النية، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، أي أن الأعمال منوطة بنياتها، فكل عمل موقوف على نية فاعله ماذا نوى فيه، والفرق بين العادة والعبادة هو النية، والعادات إذا اقترنت بالنية الصحيحة صارت عبادة، كما أن العبادة إذا خلت من النية انقلبت إلى عادة لا أجر فيها، ألا ترى أن المسلم ليس لديه عمل يؤهله الخلود في الجنة، وأن الكافر ليس لديه عمل يؤهله الخلود في النار، لأن الذب عبد الله خمسين أو ستين عاما ليست لديه الأهلية للمكث في النعيم المقيم خالدا أبدا، كما أن الكافر الذي عصى الله خمسين أو ستين سنة لم يأت ذنبا يؤهله الخلود في العذاب السرمدي خالدا فيه أبدا، ولكن المسلم نوى عبادة الله تعالى وطاعته مهما عمره الله في الدنيا ولو بقي آلاف السنين، كما أن الكافر نوى معصية الله بالكفر ولو بقي آلاف السنين لا يحول عن كفره، فلما كان الأمر

هكذا فأهل الجنة خلدتهم نياتهم، وأهل النار خلدتهم نياتهم، فانظر كم هي أهمية النية.

هذا وأسأل الله جلت قدرته، متوسلاً ومستشفعاً برسوله ونبيه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم أن ينفع به النفع العميم، وأن يوفقني وكل طالب للحق إلى ما فيه رضاه من القول والعمل والاعتقاد والنية، وأن يسلك بنا نهج حبيبه ومصطفاه، وأن يمدني بمدده ومدد أوليائه، ويجمعنا بهم في مستقر رحمته، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد سيد الوجود وفيض المدد والجود وعلى آله وأصحابه أجمعين.

فهرس لأهم المراجع

- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دار الشعب، القاهرة، ط1 ، 1407 – 1987 .
- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة، بيروت .
- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين، القاهرة ، 1415.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني .
- مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب، بيروت، ط1 ، 1419هـ ـ 1998 م .
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
- السنن المأثورة، أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشي المطلبي، الشافعي المكي .
- سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بَهرام الدارمي، التميمي.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي .

- المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406 – 1986، عبدالفتاح أبو غدة .
- سنن ابن ماجة، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، مكتبة أبي المعاطي.
- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، المكتب الإسلامي، بيروت ، 1390 – 1970، د. محمد مصطفى الأعظمي .
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان ب التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، علي بن بلبان علاء الدين الفارسي، مؤسسة الرسالة .
- مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار)، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البزار.
- مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود، هجر للطباعة والنشر، ط1، 1419 هـ 1999 م .
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1 ، 1404 – 1984.
- سنن الدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني .
- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي.
- سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور ط1 ، 1414هـ .
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1411 – 1990، مصطفى عبد القادر عطا.

- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1417 هـ - 1996 م، ط1 .
- مستخرج أبي عوانة، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو عوانة الإسفراينى النيسابوري.
- الأدب المفرد، المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار البشائر الإسلامية، بيروت ، 1409 – 1989، محمد فؤاد عبدالباقي .
- المعْجَمُ الصَّغِيْرُ لِلطَّبْرَانِي، سليمان بن أحمد الطبراني، المكتب الإسلامي , دار عمار، بيروت , عمان، ط1، 1405هـ ـ 1985م .
- موطأ الإمام مالك، دار القلم، دمشق، ط1، 1413 هـ - 1991 م .
- تهذيب الآثار، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري.
- دلائل النبوة، الإمام البيهقي ، تحقيق: الدكتور عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ط1، 1408 هـ / 1988 م .
- شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق _ بيروت، ط2 ، 1403هـ - 1983م .
- شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415 هـ ، 1494 م
- شرح معاني الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد الأزدي المعروف بالطحاوي، عالم الكتب، 1414 هـ ، 1994 م .
- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي .

- صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري .
- مُصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي .
- مصنف عبد الرزاق أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت
- ط1، 1403هـ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي .
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ .
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، أبو الفرج عبد الرحمن الشهير بابن رجب .
- الدعوات الكبير، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، غراس للنشر والتوزيع، الكويت .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ .
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ .
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري.
- معالم السنن، أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي، المطبعة العلمية، حلب، ط1.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، مؤسسة القرطبة .
- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، عبدالرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ، 1389 – 1969 .

- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، 1411هـ .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت.
- الضعفاء، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، تحقيق؛ عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ .
- أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1987.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شهاب الدين احمد بن القسطلاني، دار الكتاب العربي، بيروت .
- لجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) أبو عبد الله محمد بن أحمد الخزرجي القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ .
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار طيبة، ط2، 1420هـ.
- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ .
- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1 ، 1420هـ/ 2000م .
- نوادر الأصول في أحاديث الرسول، محمد بن علي الترمذي، دار صادر .
- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميري .
- المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد .
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي .

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987 م .
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط1 .
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، شهاب الدين احمد بن القسطلاني .
- جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مكتب التحقيق بدار هجر، ط1 .
- الكامل لابن عدي .
- المنتخب من مسند عبد بن حميد .
- معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني .
- تاريخ دمشق، ابن عساكر .
- الخصائص الكبرى، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي .
- جامع الأصول من أحاديث الرسول أبو السعادات ابن الأثير.
- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي.
- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي، دار الحاوي، بيروت، 1998 .
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ .

- إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقى الدين أحمد بن على المقريزى، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1420/ 1999. ، بيروت .
- الروض الأنف في شرح غريب السير،عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي .
- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت.
- السيرة النبوية، الامام أبى الفداء اسماعيل بن كثير، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان .
- الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي أبو عيسى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1412هـ .
- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الاصبهاني.
- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ .
- تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 .
- شرح المواهب اللدنية للزرقاني.
- طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى ، دار المعرفة، بيروت .
- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع .
- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن محمد الجزري المعروف ب "ابن الأثير" .
- خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي.

- المدخل لابن الحاج العبدري، دار الحديث، القاعرة .
- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، دار السلام، ط1، 1990، تحقيق وهبي الغاوجي.
- الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي .
- الإنصاف، أبو بكر الباقلاني .
- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار الفكر، بيروت .
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الإسفراييني، عالم الكتب، بيروت ، ط1، 1983م .
- الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق؛ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت .
- المتفق والمفترق للخطيب البغدادي .
- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، محمد بن علي الشوكاني .
- شرح أم البراهين في العقيدة الأشعرية، احمد بن عيسى الأنصاري .
- مفتاح الجنة في شرح عقيدة أهل السنة، محمد بن الهاشمي التلمساني، مكتبة الترقي، دمشق، 1961 .
- العهد القديم والجديد الموسوم بـ: الكتاب المقدس .
- أحكام تمني الموت، محمد بن عبد الوهاب النجدي .
- الحبائك في أخبار الملائك، جلال الدين السيوطي، وهو ضمن مجموع رسائله: الحاوي للفتاوي .
- نسيم الرياض بشرح شفا القاضي عياض، ملا علي القاري .